

اَدم سیلفرستاین Adam J. Silverstein

آيات سورة الروم (٢-٥) في سياق الشرق الأدنى

ترجمة: مصطفى الفقي

www.tafsir.net





المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير



نبذة تعريفية بآدم سيلفرستاين؛

حاصل على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في العصور الوسطى من جامعة كامبريدج، عمل كأستاذ للتاريخ الإسلامي في عددٍ من الجامعات؛ في الكلية الملكية بلندن، وفي جامعة بار إيلان، وكأستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة أكسفورد.

مهتم بالتاريخ الإسلامي في العصر الوسيط.

له عدد من الكتب في هذا السياق، منها:

Islamic History: A Very Short Introduction (Oxford: Oxford University Press, 2010).

التاريخ الإسلامي؛ مقدمة قصيرة جدًّا.



مقدمة(١):

تحتلّ دراسة السياق التاريخي الديني والنصّي لنصّ القرآن مساحة كبيرة في الاهتمام الاستشراقي، سواء في الكلاسيكي أو المعاصر، على اختلاف الأهداف والمنطلقات وراء هذا الاهتمام، واختلاف الأدوات المستخدمة كذلك، ويُعَدّ التناولُ المعاصر لهذا السياق ولإشكال علاقة القرآن بنصوص الشرق الأدنى القديم المتأخّر بؤرة لعدد كبيرٍ من القضايا؛ مثل تاريخ النصّ، تاريخ بدايات الإسلام، العلاقة النصيّة بين القرآن وهذه النصوص، دلالة بعض النصوص في المدونة التفسيرية، وغيرها من القضايا.

في هذه الورقة يقوم آدم سيلفرستاين بدراسة آيات سورة الروم الخمس الأولى في سياق نصوص الشرق الأدنى القديم، من أجل إلقاء ضوء على دلالتها، ويقيم نقاشه بالأساس في مواجهة افتراضات (شوميكر، وتيسي) حول سياق هذه الآيات محاولًا تطويرها، حيث يقبل مبدئيًّا الطابع الإسكاتولوجي للآيات، أي: تعلُّقها بنبوءات نهاية العالم، إلا أنه يرفض ما يفترضانه من كون سياقها المفترض يشير إلى موقع آخر لظهور الإسلام غير مكة، ويعتبره افتراضًا

⁽۱) قام بكتابة المقدمة، وكذا التعريف بالأعلام والتعليقات الواردة في نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي سيلفرستاين بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات).



تنقيحيًّا مبالغًا فيه، كما يطرح تساؤلات حول مدى ضرورة الانطلاق -كما يفترضان- من كون القرآن يعكس رؤية مسيانية يهودية دون مواجهة منه لها أو تعديل أو تغيير، وهي تساؤلات مهمّة ضمن القضايا التي ذكرنا.

يقوم سيلفرستاين بتسييق آيات الروم في سياق تاريخي خاصّ بحروب الروم في اليمن، متفقًا مع تيسي وشوميكر في كون الآيات لا تتحدّث عن سوريا، لكن -وعلى عكسهم- محافظًا على الخطوط الرئيسة للتقليد الإسلامي حول تاريخ القرآن، وفي سياق نصّي يشمل عددًا من النصوص اليهودية والمسيحية خصوصًا سفر دانيال وشروحاته، ويربط بين تصوّراته المسيانية وتصوّرات القرآن، ويحاول الحجاج عن كون هذه الرؤى التي حملها اليهود والمسيحيون كذلك في سياق شبه الجزيرة شكّلَت أساسًا للآيات القرآنية ثم للتفاسير اللاحقة التي لم تكن مبتعدة كثيرًا عن مراكز كتابة ونشر التلمود، لكن هذا لا يعني -وفقًا له- تقبّل القرآن أو عكسه لهذه الرؤية، بل رؤيتها وفق نمط خاصّ مرتبط بالجماعة الإسلامية الناشئة وعلاقتها الواقعية واللاهوتية باليهود وبالمسيحيين وبالإمبراطوريتيْن الفارسية والبيزنطية.

لا تَصِلُ ورقة سيلفرستاين لنتائج حاسمة حول الآيات ودلالتها وسياقها، بل يظلّ يؤكّد على عدم إمكان الجزم بدلالة الآيات وفقًا للمعطيات المتاحة التاريخية والنصيّة، إلا أن الأهمية الكبيرة لهذه الورقة ليست النتائج، بقدر ما هي بيان التعقد المنهجي من جانبٍ آخر لربط القرآن بالمدونات السابقة عليه،

آيات سورة الروم (٢-٥) في سياق الشرق الأدنى



ترجمات

كما تفعله دراسات استشراقية عديدة، وبيان صعوبة البتّ في ذلك منهجيًّا، وكذا تسليط الضوء على جانبٍ متنامٍ من الاشتغال الاستشراقي المتّصل بالتفسير والذي يقارب دلالات الآيات بعيدًا عن مدونة التفسير وآراء المفسرين؛ ليكون ذلك محلّ بحث من الدارسين.





تروم هذه الورقة تقديم مجموعة مختارة من المواد ما قبل الإسلامية التي تساعد على تسليط الضوء على الآيات محلّ البحث من مطلع سورة الروم (٢). لقد نالت هذه الآيات مؤخرًا اهتمامًا بحثيًّا جادًّا، وخاصةً دراسات توماسو تيسى Tommaso Tesei)، وستيفن شوميكر Stephen Shoemaker

(۱) هذه المادة هي ترجمة لورقة: "Q 30: 2–5 in Near Eastern Context"، المنشورة في: Q 30: 2–5 in Near Eastern Context في ۲۰۲۰.

The Death of a Prophet: The End of Muhammad's Life and the Beginnings of Islam, 2001

موت النبي: نهاية حياة محمد وبداية الإسلام.

Mary in Early Christian Faith and Devotin, 2016

مريم العذراء في بواكير الإيمان والتقوى المسيحية. (قسم الترجمات).

⁽٢) ترجم هذه المادة: مصطفى الفقي، باحث ومترجم، له عدد من الأعمال المنشورة.

⁽٣) أود أن أشكر إشعياء جافني Isaiah Gafni على مناقشة بعض جوانب هذه الورقة معي، كما أشكر شين أنتوني Sean Anthony على تعليقاته على المسودة الأولى للورقة.

⁽٤) توماسو تيسي، باحث بمعهد فان لير بالأراضي المحتلة، مهتم بتاريخ بدايات الإسلام، والتقاليد الدينية في سياق الشرق الأدنى القديم. (قسم الترجمات).

⁽٥) ستيفن شوميكر (١٩٦٨ -...)، حاصل على الدكتوراه من جامعة ديوك، متخصّص في تاريخ بدايات الإسلام وتاريخ المسيحية، مهتم بالتقاليد المسيحية الشرقية المبكّرة، له عدد من الكتب في هذا السياق، منها:



ترحمات

اللذَيْن استهدفا -بالمثل- توضيح معاني الآيات من خلال تسييقها استنادًا إلى المواد اليهومسيحية (١).

في ترجمة آربري Arberry ، نقرأ الآيات محلّ البحث على النحو الآي: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿ فَ فَيَ اَذْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنَ بَعَدِ غَلِبَهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ فَي فَي الْأَرْضِ وَهُم مِّنَ بَعَدِ غَلِبَهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ في يضّع سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْثُ مِن قَبَلُ وَمِنْ بَعَدُ وَيُومَ إِنْ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ يضّع سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْثُ مِن قَبَلُ وَمِنْ بَعَدُ وَيَوْمَ إِنْ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ينصر الله ين الله ينصر المن المناس المنظم ينصر الله ينسر الله ينصر ال

T. Tesei, "The Romans will win!': Q 30:2–7 in Light of 7th c. Political (1) Eschatology", Der Islam 95.1 (2018): 1–29; S. Shoemaker, "The Reign of God Has Come: Eschatology and Empire in Late Antiquity and Early Islam", Arabica 61 (2014): 514–558; S. Shoemaker, The Apocalypse of Empire: Imperial Eschatology in Late Antiquity and Early Islam, Philadelphia, 2018.

⁽٢) آرثر جون آربري Arthur John Arberry، مستشرق إنجليزي ولد في بورتسموث، وقد حصل على منحة في دراسة الكلاسيكيات، فدرس اليونانية واللاتينية في جامعة كامبريدج، وحصل على البكالوريوس من كلية برمبوك، توجّه لدراسة اللغات الشرقية بتوجيه من أستاذه منسن، ودرس العربية على يد ألن نيكلسون، وكانت زمالة آربري بالقاهرة، وقد عيّن رئيسًا لقسم الآداب بالجامعة المصرية «جامعة القاهرة». اهتماماته الرئيسة تركزت في التصوف الإسلامي وفي الأدب، ففي ١٩٣٥، نشر كتاب «المواقف والمخاطبات» للنَّفري، وترجمه للإنجليزية، كما عمل على فهرسة المخطوطات العربية والفارسية، وترجم عددًا من أعمال الشاعر والمتصوّف والفيلسوف الهندي محمد إقبال، وتعتبر المهمّة الأبرز التي قام بها أستاذ اللغات الشرقية ورئيس كرسي اللغة العربية بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية وأستاذ كرسي توماس آدمز في جامعة كمبريدج؛ هي ترجمته للقرآن إلى اللغة الإنجليزية، فقد ابتدأ مشروعه بترجمة آيات مختارة من القرآن في الخمسينيات، ثم أصدر ترجمته المفسّرة عام ١٩٥٥، بعنوان: « The Koran مختارة من القرآن في مجلدين. (قسم الترجمات).



تعاطَى التقليدُ التفسيري الإسلامي بشكل عام مع هذه الآيات بوصفها إشارة إلى الأحداث التاريخية التي وقعت في القرن السابع، وتحديدًا الحروب الواقعة بين الإمبراطوريتيْن البيزنطية والساسانية، والتي تنبّأ القرآنُ بنتيجتها في الآيات (على نحوٍ صحيح)^(۱). وهكذا، اكتسبت الآيات أهمية خاصّة بسبب محتواها المُعْجِز: بما أن هذه الآيات يتم تصنيفها تقليديًّا على أنها آيات (مكية)، فليس ثمّة سبيل يمكّن القرآن من معرفة النتيجة النهائية للتنافس البيزنطي الساساني، والذي انتهى في العام ٢٦٨م، عندما استعاد هرقل صليب الصلبوت الذي استولى عليه الساسانيون في العام ٢١٨م، وتم توقيع معاهدة سلام بين الطرفين.

بيّن كلٌ من تيسي وشوميكر أنّ هذه الآيات تجدر قراءتها في سياق الإسكاتولوجيا اليهومسيحية في أوائل القرن السابع الميلادي. إذ يسوقون عددًا من المصادر التي تثبت أنّ الحروب البيزنطية الساسانية التي نشبت بين عامي (٢٠٢-٦٢٨) قد تم تفسيرها على أنها حروب آخر الزمان، ويجادلان بأنه تجب قراءة هذه الآيات القرآنية في سياق تلك النصوص اليهودية والمسيحية [بشكل رئيس] شبه المعاصرة. من جهتي، لا أشكّ في أن عملهم قد طوّر النقاش حول

N. M. El-Cheikh, "Sūrat al-Rūm: A Study of the Exegetical Literature", JAOS (1) 118 (1998): 356–64.



الآيات محلّ البحث، وأنا لن أعيد سرد حججهم بالتفصيل هنا، كما لن أعيد اقتباس الشواهد التي اعتمدوا عليها. ما سأقوم به هو مجرّد هامش تطوّعي يتقاطع مع عمليهما، يبني على نتائجهما الرائعة ويتمّمها بمجموعة مختارة من المواد غير المتناولة بالدرس حتى الآن.

لا تتطابق طروحات تيسي وشوميكر في جميع الجوانب لدي مناقشتهم هذه الآيات، ويعكسان معضلة مشتركة مع المفسّرين التقليديين؛ فقد اختلفت آراؤهما حول ما إذا كان يجب قراءة الأفعال الواردة في الآيتين الثانية والثالثة كأفعال مبنية للمفعول أولًا يليها الفعل المبنى للمعلوم، ومن ثم تُقرأ الآيات كما يأتى: (غُلِبت الروم... سَيَغْلِبون)، كما قرأها تيسي ومعظم التقاليد الإسلامية كذلك، أو يُقرأ الفعل الأول مبنيًّا للمعلوم والثاني مبنيًّا للمفعول، ومن ثـم تُقرأ الآيات كما يأتى: (غَلَبَتِ الروم... سيُغلَبون)، كقراءةٍ بديلة. ومن الواضح أن معنى الآيات يتغير تماما بناءً على القراءة التي يختارها المرء: في القراءة الأولى (المبنى للمفعول - المبنى للمعلوم)، سوف يظهر البيزنطيون في النهاية منتصرين، بينما في القراءة الثانية، على الرغم من غَلَبتهم أولًا، إلا أنَّ البيزنطيين سيُدحرون في نهاية المطاف (من قِبل الجيوش الإسلامية). وفي كلتا الحالتين، تُنبئ الآيات المكية عن شيء يحدث في وقت لاحق. ومن وجهة نظر إسلامية تقليدية، تظلّ المعجزة قائمة بغض النظر عن ضبط نطق الأفعال. أمّا بالنسبة للدراسات الغربية الحديثة، يتطلب التسييق التاريخي للآيات اختيار قراءة

واحدة (وسياقها الناتج عنها) على الأخرى. وكما أسلفنا، فإن تيسي وشوميكر اختارا قراءات مختلفة.

يساعدنا تبنّي القراءة الإسكاتولوجية على الإجابة عن بعض الأسئلة التي يمكن أن تنشأ عن القراءة المباشرة للآيات: لماذا، إذا كان البيزنطيون سينتصرون في نهاية الأمر (وهي القراءة التي تبنّاها أغلب المفسرين المسلمين، باعتبار الفعل الأول مبنيًّا للمفعول)، أقول لماذا على المسلمين أن يفرحوا (المؤمنون في الآية ٤) والحال كذلك؟ يجيب التقليد الإسلامي على هذا السؤال من خلال تصوير الموقف على النحو الآتي: وجود حالة من التنافس البيزنطي - الساساني ينتصر فيها الوثنيُّ ون المكِّيُّون للفرس، والمسلمون التوحيديون للروم في شبه الجزيرة العربية؛ حيث انحاز المكِّيُّون إلى الساسانيين الوثنيين، والمسلمون إلى البيز نطيين المسيحيين. ومع ذلك، لم تكن حروب الأعوام (٢٠١-٦٢٨) مباراة رياضية كان بإمكان العرب أن يشاهدوها من ملعب حجازي، يدعمون فريقهم ويبتهجون عندما يفوز. وبالرغم من ذلك، يجادل تيسى بأن الآيات تعكس النصوص الإسكاتو لوجية المسيحية البيز نطية التي نقلها الحلفاء العرب عن البيز نطيين ممّن انضموا إلى الجماعة المسلمة الناشئة التي توسعت في الفتوحات المُشربة بالفكرة الإسكاتولوجية. وبحسب حجاجه، لا تشير عبارة: ﴿ وَيُومَ بِإِ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى انتصار البيزنطيين على الساسانيين، بل بالأحرى إلى ابتهاج المسلمين بحلول نهاية



العالم الذي سيتبع انتصار البيزنطيين بفترة قصيرة. وتستمد هذه الحجة دعمها من كلمة (يومئذٍ) المحمَّلة بدلالات إسكاتولوجية في مواضع أخرى من القرآن. وبينما تحلّ هذه القراءة بعض الإشكاليات المثارة حول الآيات، تخلق أيضًا بعضًا آخر؛ أولًا: وكما يُقِرّ كلُّ من تيسي وشوميكر (بطريقة غير اعتذارية)^(۱)، قراءة الآيات من خلال النصوص المسيحية التي ترجع إلى انتصار العام ٢٢٨ على الساسانيين، تتطلب التخلي عن التسلسل الزمني (المكّي) الذي حدده كلُّ من التقليد الإسلامي ونولدكه - شفالي لهذه الآيات. ثانيًا: دفعت الإشارة إلى عبارة: ﴿ أَذَنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ الواردة في الآية الثالثة إلى إقناع تيسي وشوميكر بأنه يجب علينا أن نفكر بعيدًا عن الجغرافيا (المكية) المحددة لظهور هذه الآيات. وفي الواقع، حتى الزمان والمكان المحددين لظهور الوحي

⁽۱) شوميكر، ۲۰۱۸، ۲۰۱۸: «للمرء أن يشك في الرأي القائم منذ زمن طويل... وذلك أن القرآن المنسوب بكامله حتمًا إلى محمد هو المسؤول -إلى حدّ ما على الأقل - عن تفضيل النسخة التقليدية في الكثير من الحقول الأكاديمية. ومع ذلك، فقد حان الوقت لكي تستغني الأكاديميا عن عبء هذه الحفريات الدوجمائية، وتشرع الباب أمام إمكانية طرح قراءات مختلفة لهذا المقطع (آيات سورة الروم)، بالإضافة إلى غيره من الآيات. فلربما تمخضت هذه الآيات في الواقع عن جماعة المؤمنين حتى بعد وفاة محمد». تيسي، ۲۰۱۸، ۲۲: «واسمحوا لي أن أختتم بالتأكيد على أن تأريخ وتسييق وقراءة نبوءة سورة الروم المقترحة في هذه الدراسة تنطوي على مراجعة تنقيحية للظروف التاريخية المفترضة عادةً لنشأة النصّ القرآني».

(المدني) لن يفسّراً لماذا تعتبر سوريا الكبرى (أو على وجه التحديد الأرض المقدّسة أو القدس) «قريبة» من مُصَنِف القرآن: فبينما يُشار إلى القدس –بحسب التقليد التفسيري – في سورة الإسراء ويوصف مسجدها بشكل خاصّ بكلمة (الأقصى)، يبدو من غير المحتمل أن توصف نفس المدينة في آياتنا محلّ البحث بكلمة (الأدنى). وبالتالي، ومن وجهة نظرهم، يجب أن نفترض أن هذه البحث بكلمة (الأدنى) مكانٍ ما في شمال الحجاز. بعبارة أخرى، يتطلب حلّهم لهذه المسألة الثانوية نسبيًّا حول معنى الآيات التخلي عن فهمنا المدرك فيما يتعلق بزمان ومكان ظهور القرآن. وهذا يبدو لي وكأنه ضرب من المبالغة والإسراف.

تنشأ أسئلة أخرى عن جانبين آخرين من قراءة تيسي وشوميكر؛ أولا: إذا كانا يرفضان الإطار المرجعي التقليدي برمّته الذي توفره الأدبيات التفسيرية لظهور القرآن، فلماذا يتابعان المصادر التقليدية في افتراضها أن الفرس لهم صلة بهذه الآيات (۱)؟ لقد حدّدا بالفعل نصوص القرن السابع التي تتعلق بالتنافس

D. A. Beck, "Anti-Sasanian Apocalypse and): the Early Quran: Why Muḥammad Began his Career as a Prophet who the Early Quran: Why Muḥammad Began his Career as a Prophet who bir تنتهج مقاربة "تنقيحية" مشابهة في تعاطيها مع القرآن (Genuinely Prophesied", Forthcoming والتقاليد التفسيرية، ولكنها لا تزال تفترض -كما افترض المفسرون أن الآيات تتحدّث حتمًا عن التنافس البيزنطي - الفارسي: "تصرّح آيات سورة الروم ((x-1)) بأن الروم قد هُزموا في أدنى الأرض،



البيزنطي - الساساني كمجال للآيات من حيث القضايا الإسكاتولوجية، ولكن أهمية هذه النصوص تظهر فقط إذا كان الفرس الساسانيون ضالعين بالفعل في الأحداث، ووحده التقليد التفسيري، وليس القرآن ذاته، هو الذي يذكر ذلك تمامًا.

ثانيًا: وهو الأهمّ في رأيي، الفكرة الضمنية التي يرمي إليها كلا الباحثين حول رسالة القرآن، هي -تحديدًا - أنّ القرآن يجب أن يكون مرتبطًا بتقاليد ثقافة أخرى فحسب (ولكنها دُوّنت باللغة العربية)، بدلًا من الاشتباك النقدي مع هذه التقاليد وتعديل محتوياتها. بعبارة أخرى، حدد كلٌّ من تيسي وشوميكر نصوصَ نهاية العالم المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية والتي تتشابه مع آيات سورة الروم (٢-٥) (وتفسيرها)، وبالتالي قامًا بقراءة هذه الآيات في ضوء تلك النصوص غير الإسلامية. ونحن نتساءل: أليس من الممكن أن يُنازع القرآن ما كان يقوله اليهود والمسيحيون عن مصير (روما) ونهاية العالم؟ ففي نهاية الأمر، وعلى الرغم من إعلان القرآن مرارًا أنه مصدًّق للكتب المقدّسة السابقة عليه ولكن في نسخة عربية، إلا أنه كثيرًا ما يتعاطى بوعي وإدراك مع الأفكار اليهودية والمسحدة.

ولكنهم سينتصرون لاحقًا على عدو لم يُسَمّ، والذي لا بدّ أن يكون الإمبراطورية الساسانية تحت حكم خسرو الثاني (حكم ٥٩٠-٦٢٨م)».



وهكذا، بينما طوّر كلُّ من تيسي وشوميكر فهمنا على نحوٍ لا يمكن إنكاره لهذا المقطع القرآني القصير من خلال لفت انتباهنا إلى سياقه ورسالته الإسكاتولوجية الخفية، إلا أن هذا الفهم جاء بتكلفة عالية؛ إذ نحن مضطرون إلى الافتراض القائل بأن القرآن لم يظهر في المكان أو الزمان الذي يعتقد التقليد الإسلامي (والكثير من الأكاديميا الغربية) أنه ظهر فيه، وأنه حتمًا ينقل أفكار الآخرين إلى اللغة العربية فحسب. وحتى إذا قبلنا هذه الافتراضات عالية الكلفة، فإننا لا نزال غير متأكدين من المعنى الفعلي للآيات، إذ يختار تيسي وشوميكر قراءات متناقضة للأفعال الحاسمة فيها.



ترحمات

إعادة تأهيل الإطار التاريخي التقليدي:

ثمّة طريقة لقبول افتراضات تيسي وشوميكر بأن سياق آيات سورة الروم (٢-٥) متعلق بالإسكاتولوجيا، مع الإبقاء في الوقت ذاته على الخطوط العريضة للسردية التقليدية حول أصول الإسلام. فبدلًا من النظر إلى الآيات بوصفها تشير إلى النزاعات البيزنطية الساسانية على الأرض المقدّسة في القرن السابع، يمكننا العودة إلى الأحداث السياسية التي وقعت في جنوب شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن السادس، حيث خاضت الإمبراطوريتان حروبًا بالوكالة في اليمن وما حولها (١). وبصرف النظر عن الحقيقة القائلة إنّ تحويل تركيز الآيات على هذا النحو المقترح يسمح لنا بالإبقاء على التحقيب المكيّ للسورة، ويبعدنا عن الحاجة إلى إعادة تصوّر السياق الجغرافي لظهور القرآن، فإنّ هناك سببين يميزان أحداث القرن السادس في جنوب الجزيرة العربية كسياق مرشح لهذه الآيات (٢).

www.tafsir.net

⁽١) لمراجعة الأعمال الكلاسيكية حول الأحداث السياسية في القرن السادس في شبه الجزيرة العربية:

<sup>S. Smith, "Events in Arabia in the Sixth Century A. D.", BSOAS 16iii (1954):
425–468. See now also G. W. Bowersock, The Crucible of Islam, Cambridge Mass., 2017; idem, The Throne of Adulis: Red Sea Wars on the Eve of Islam, .Oxford, 2013; and Ch. J. Robin's numerous studies on pre-Islamic Yemen</sup>

⁽٢) عشية ظهور الإسلام، ومنذ القرن السادس تحديدًا، كانت شبه الجزيرة العربية إحدى محطات الصراع الممتد بين الفرس والروم بما كانت تمثّله من أهمية اقتصادية وجيوسياسية كبيرة للإمبراطوريتين. وبعيدًا عن الأدوار السياسية المعروفة لكلّ من الغساسنة والمناذرة شمال الجزيرة، كانت المنافسة



نرجمات

أولاً: يبدو أن ثمّة سورًا أخرى تشير إلى الأحداث التي وقعت جنوب الجزيرة العربية في القرن السادس، وبالتحديد سورة البروج (آيات: ٤-٧) «قصة أصحاب الأخدود التي يربطها المفسرون عمومًا باستشهاد مسيحيي نجران حوالي عام ٢٣٥م». وسورة الفيل «التي يربطها المفسّرون بخطة أبرهة

الاقتصادية محتدمة إلى مداهًا بين الإمبراطوريتَيْن على طرق التجارة المحيطة بالجزيرة وخاصّة جنوب الجزيرة، فقد كانت الجزيرة العربية حلقة وصل مهمّة آنذاك بين مراكز إنتاج السلع والمواد الخام (وأهمها الحرير والبخور) في شرق آسيا وجنوبها الشرقي وبين حوض البحر المتوسط الذي سيطر عليه الرومان. فقد أطلّت الجزيرة العربية بجانبيها على طريقين من أهم طرق التجارة بالنسبة للإمبراطوريتيّن في العصور القديمة المتأخرة؛ فإلى جانب سيطرة الفرس على طريق الحرير، امتد نفوذهم أيضًا إلى الطريق الشرقي المتمثّل في الخليج الفارسي وصولًا إلى نهر الفرات، بينما سيطر البيزنطيون وحلفاؤهم الأحباش على الطريق الغربي من خليج باب المندب والبحر الأحمر وصولًا إلى ميناء القلزم (السويس) حيث يرسو الأسطول البيزنطي ومنه إلى النيل ثم البحر المتوسط. وبمحاذاة ساحل البحر الأحمر، كان الطريق البرى الممتد من عدن ومأرب مرورًا بنجران ومكة والمدينة ومدائن صالح والبتراء وحتى سيناء وغزة ودمشق وصُور على البحر المتوسط أو يمتد شمالًا إلى حِمص وأنطاكية، وكانت الإمبراطورية البيزنطية وحليفتها أكسوم يسيطران على هذا الطريق الغربي بعد أن استطاع الأحباش بمباركة البيزنطيين القضاء على ملك الحِمْيَريِّين وتأمين ساحِلَى البحر الأحمر الأفريقي والآسيوي، قبل أن تغزو فارس اليمن بعد مقتل سيف بن ذي يزن وحتى ظهور الإسلام. انظر: رأفت عبد الحميد، الإمراطورية البيزنطية: العقيدة والسياسة، الجزء الأول، الفصل الخامس: الصراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي. وعبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة: دراسة في جذور الصراع وتطوره، الفصل الأول: علاقة عرب الشام والحجاز بالبيزنطيين قبل ظهور الإسلام. (المترجم).



لمهاجمة مكة بواسطة الفيل حوالي ٥٧٠م». علاوة على ذلك، وحسبما ورد في السيرة، عندما اضطهد الوثنيون المكيون المسلمين الأوائل اختار هؤلاء الهجرة باتجاه الجنوب، إلى إثيوبيا^(۱)، بدلًا من الشمال، نحو سوريا الكبرى. ويبدو أن الأمة الإسلامية الناشئة في العهد المكيّ كانت «موجّهة» (لعدم وجود كلمة أفضل) نحو الجنوب بدلًا من الشمال.

ثانيًا: ربما يرجع تاريخ بعض مصادر القرن السابع الأبوكاليبسية، والتي تم استخدامها في تسييق آيات سورة الروم في تلك الحقبة، إلى القرن السادس في الحقيقة. على سبيل المثال، يُعتقد عمومًا أنّ سفر زربابل Sefer الحقيقة. على سبيل المثال، يُعتقد عمومًا أنّ سفر زربابل Zerubbabel يعود تاريخه إلى ثلاثينيات القرن السابع، على الرغم من أن نيومان Newman قد جادل بقوة أنه يرجع إلى القرن السادس، وهو ما لم يستبعده حتى أولئك الذين يفضّلون الخيار التقليدي الذي يؤرخ السفر في القرن السابع. وبالمثل، فإنّ الإصحاحات ٣٤-٣٧ من المجموعات الكبرى

⁽١) لاحظ أيضًا أن الحكام الإثيوبيين المسيحيين في القرن الخامس الميلادي وصفوا أنفسهم بـ (قسطنطين A. Sivertsev, Judaism and Imperial) الجديد)، متخذين لأنفسهم خطابًا إمبراطوريًّا بيزنطيًّا (Ideology in Late Antiquity, Cambridge, 2011, 4).

⁽٢) سفر زربابل هو كتاب عبري قروسطي أبوكاليبسي (حول أحداث آخر الزمان) كُتب على غرار أسفار العهد القديم: سفر دانيال وسفر حزقيال. (المترجم).

A 6th century date for Sefer Zerubbabel is argued in H.I. Newman, "Dating (r) Sefer Zerubavel. Dehistoricizing and Rehistoricizing a Jewish Apocalypse of late Antiquity", Adamantius 19 (2013): 324–336. M. Himmelfarb (Jewish



ترحمات

Pesiqta Rabbati (أعود إلى مناقشتها أدناه) تُنسب عمومًا إلى ثلاثينيات القرن السابع، ولكن بعضهم يرى أيضًا هنا أن النصّ من أعمال القرن السادس (٢). وكِلا المصدريْن يتضمّن نبوءات حول التنافس البيزنطي – الفارسي السابق على العصر المسياني، وبالتالي فهي مصادر محورية لسياقيات تيسي – شوميكر. وربما الأهم من ذلك، حقيقة أن الترجمة السريانية لحياة الإسكندر الأكبر (٢)، التي يرجع بها رينيك Reinink (وتابعه على ذلك تيسي

Messiahs in a Christian Empire, Cambridge Mass., 2017, 31–34), argues for a 7th century dating but accepts the possibility that Newman is correct.

- (١) المجموعات الكبرى، Pesikta Rabbati، هي كتابات مدراشية أغاداتية حول الأسفار الخمسة للعهد القديم. (المترجم).
- For a 7th century dating, see B. J. Bamberger, "A Messianic Document of the (Y) Seventh Century" HUCA 15 (1940): 425–431, and P. Schäfer, "Die messianischen Hoffnungen des rabbinischen Judentums zwischen Naherwartung und religiösem Pragmatismus," in Cl. Thoma, ed., Zukunft in der Gegenwart (Bern-Frankfurt a.M., 1976), 96–125. For the earlier dating see R. Ulmer, "The Contours of the Messiah in Pesiqta Rabbati", Harvard Theological Review 106 (2013): 115–144, who see several distinct stages in the composition of this work, beginning in the first century, and with the "core" of the work dating from the 5th and 6th centuries. See also Himmelfarb 2017, 184–185 n. 1.
- (٣) من الكتب الأكثر شهرة في العصور الوسطى، وهو كتاب سردي حول حياة وبطولات شخصية الإسكندر الأكبر، وعلى الرغم من جوهره التاريخي، إلا أن تلك الروايات في كثير منها نسج الخيال، وقد كتبت النسخة الأصلية باللغة اليونانية في القرن الرابع، ثم تُرجمت إلى لغات عدّة، ومن ثم تعرضت لإضافات أسطورية كثيرة، من بينها اللغات الساميّة التي يشير الكاتب هنا إلى النسخة السريانية منها. (المترجم).



وآخرون) إلى العام ٢٣٠م، والتي تُعَدّ ذات صلة مباشرة بكلِّ من آيات سورة الكهف (٢-٨-١٠) وآيات سورة الروم (٢-٥)، أقول ربما ترجع هذه الترجمة إلى أوائل القرن السادس، وهي النظرية التي جادل شوميكر نفسه لصالحها بقوة (١٠).

بعبارة أخرى، كان هناك تنافس بيزنطي – فارسي في أرض (أدنى) للجزيرة العربية من سوريا الكبرى^(۲)، وفي فترة تسبق التحديد الكرونولجي التقليدي لظهور القرآن، والذي رفض الكتابات الأبوكاليبسية اليهودية والمسيحية. إضافة إلى ذلك، هناك سوابق تسجّل الأحداث التي شهدها جنوب الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، والتي وجدت سبيلها إلى السور المكية في القرآن. وعلى هذا النحو، قد نقبل حجاج تيسي وشوميكر دون رفض التقاليد الموروثة من العقود الأولى للتاريخ الإسلامي^(۳).

Shoemaker 2018, 83. (1)

⁽٢) بالطبع يعتبر جنوب شبه الجزيرة العربية أقرب إلى الحجاز منه إلى سوريا الكبرى. ولكن، كما ذكرنا، فإن الهجرة الأولى إلى إثيوبيا، والإشارات (المحتملة) إلى نجران وأبرهة، يشيران إلى أن جنوب شبه الجزيرة العربية كان أقرب إلى المكيين مما كانت عليه سوريا.

⁽٣) للتوضيح: أنا لا أصر على أن الرواية التقليدية عن تاريخ القرآن أو ظهور الإسلام بشكل عام يجب مسايرتها بشكل دوجمائي وبصرف النظر عن الأدلة. أنا ببساطة لا أرى وجاهة تفسيرات المواد القرآنية التي تناقض الروايات التقليدية إلا إذا كانت تفسيرات جديرة بالنظر تسمح لنا بالإبقاء عليها.



ومع ذلك، فإن هذا الحلّ أيضًا لا يَسْلم من الإشكاليات. إذ يُرجِع معظم الباحثين (سفر زربابل) إلى أوائل القرن السابع، وبما أن الشاهد الأكثر صلة في (المجموعات الكبرى) يشير إلى العرب بوصفهم منضمِّين إلى القتال الدائر بين بيزنطة وفارس، يجب علينا -مقتفين أثر بامبرجر Bamberger وشافير بيزنطة وفارس، يجب علينا مقتفين أثر بامبرجر القرن السابع أيضًا. وينطبق الشيء ذاته على النسخة السريانية من قصة الإسكندر الأكبر (التي تأثرت بالنصّ السابق أيضًا). إضافة إلى ذلك، جادل الباحثون مؤخرًا (على نحو مقنع، في السابق أيضًا). إضافة إلى ذلك، جادل الباحثون مؤخرًا (على نحو مقنع، في رأيي) أن سورة الفيل لا تشير إلى فيل أبرهة (۱)، كما أن سورة البروج لا تشير إلى شهداء نجران (۱). وبالتالي، فإنّ السوابق التاريخية التي نعتمد عليها لإثبات الثير الأحداث التي وقعت في جنوب الجزيرة العربية في القرن السادس

D. Beck, "Maccabees not Mecca: The Biblical Subtext and the Apocalyptic (1)

Context of Sūrat al-Fīl (Q 105)" (Forthcoming).

⁽۲) للكاتب تناول خاص لسياق هذه الآيات، حيث يربطها بسفر دانيال لا بقصة شهداء نجران، وهذا على أساس تحليله لعدد كبيرٍ من القصص في نصوص الشرق الأدنى -اليهودية والمسيحية والإيرانية والتي تدور حول ثيمات الامتحان بالنار والشهادة، والتي يعتبر أنها أقرب لنظرة سورة البروج لهذه الموضوعات، والمادة مترجمة على قسم الترجمات بموقع تفسير، ضمن الملف الرابع (القرآن وعلاقته بالكتب السابقة)، بعنوان: (من هم أصحاب الأخدود؟ آيات سورة البروج [٤-١٠] في سياق الشرق الأدنى)، ترجمة: مصطفى الفقي، على هذا الرابط: https://tafsir.net/translation/65/.



الميلادي على السور المكية باتت غير مقبولة كدليل في هذه الحالة. في الواقع، رأت الدراسات التي أجريت مؤخرًا على سورة البروج وسورة الفيل أثر المصادر اليهودية المبكّرة التي ترجع إلى عهد الهيكل الثاني (مثل سفر المكابيين الثاني والثالث، وسفر أخنوخ، وسفر دانيال، وغيرهم) على آيات القرآن المكيّ. وسوف نجادل أدناه بأن آيات سورة الروم (Y-0) قد ينجلي مرادها بالاستعانة بمثل هذه المواد بالإضافة إلى غيرها من المصادر الأخرى التي أنتجتها العصور القديمة المتأخرة.

وفيما يأتي، سوف أقوم بأمرين؛ أولا: ألفت الانتباه إلى تلك المواد القديمة ومواد العصور القديمة المتأخرة حول التنافس البيزنطي – الفارسي، والتي أعتقد أنها شكّلت جزءًا أساسيًّا من التقاليد التفسيرية لآيات سورة الروم (٢-٥)، والتي ربما ترتبط أيضًا بآيات القرآن ذاتها. ثانيًا: أركّز على المواد القديمة ومواد العصور القديمة المتأخّرة التي تركّز على دور بيزنطة في أحداث آخر الزمان، وهي المواد التي لا أرى عنها محيدًا لفهم آيات سورة الروم (٢-٥)، وهي مواد تركّز حكما ذكرنا في البداية – على (بيزنطة) دون الفرس أو الساسانيين.



ترحمات

تأطير تقاليد التفسير: المواد الإسكاتولوجية في سفر دانيال:

ترجع الأصول الأولية لمعظم -إن لم يكن جميع - المواد الأبوكاليبسية اليهودية والمسيحية التي تم الاعتماد عليها في تسييق الآيات محلّ البحث إلى سفر دانيال التوراتي^(۱). ومن المتعارف عليه بوجه عامّ أن سفر دانيال ينقسم إلى قسمين، كلّ قسم له محتوى موضوعي مختلف، ومؤلفون مختلفون، وأصول مختلفة؛ إذ تتألّف الإصحاحات ١-٦ من سلسلة روايات قضائية في الشرق الأدنى، بدأت في بابل القديمة أو إيران الأخمينية. وعلى الرغم من أن تلك الروايات -في صياغاتها الحالية - تعود إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، إلا أنه ثبت أنها مستمدّة من مواد أقدم إلى حدّ كبير: مصرية قديمة وبابلية وفارسية وغيرها^(۱). على الطرف النقيض، تتألّف الإصحاحات ٧-١٢ من سلسلة من الروى الأبوكاليبسية وتفاسيرها، وقد ثبت من الأدلة الداخلية أن هذه

Trajectories in Near Eastern Apocalyptic: A Postrabbinic) يبيّن جون سي ريفز (١) يبيّن جون سي ريفز (١) إنّ خطط الممالك الأربع الموجودة (١) نخطط الممالك الأربع الموجودة (العالم) أنّ خطط الممالك الأربع الموجودة في سفر دانيال ٨،٧،٢ «تشكّل الأساس النصيّ للتفاسير التالية في كلِّ من الشروحات اليهودية والمسيحية اللاحقة».

T. L. Holm, Of Courtiers and Kings: The Biblical Daniel Narratives and Ancient (Y) Story Collections, Winona Lake, Ind., 2013; P. A. Beaulieu, "The Babylonian Background of the Motif of the Fiery Furnace in Daniel 3", JBL 128 (2009): 289–306; and S. M. Paul, "The Mesopotamian Background of Daniel 1–6", in J. J. Collins, ed., The Book of Daniel, Volume 1: Composition and Reception, Leiden, 2014, 55–68.

الإصحاحات ظهرت في يهو دا في ستينيات القرن الثاني قبل الميلاد. وكثيرٌ مما يعنينا في سفر دانيال هو أيضًا ما حاز اهتمام اليهود والمسيحيين في العصور القديمة المتأخّرة، وتحديدًا الرؤى الواردة في النصف الثاني من السفر: فعلى الرغم من أن الإصحاح الثاني يتعاطى بالفعل مع معطيات التاريخ السياسي، ومع نبوءات حول صعود وسقوط الممالك الأربع، فإننا نعثر في الإصحاحات ٧-٧ على المزيد من الإحالات المباشرة إلى نوع النبوءة التي تنبئ بأحداث نهاية العالم الإمبراطوري التي نوقشت هنا. الغريب في الأمر أن سفر دانيال يحتوي على أفكار ولغة نجد لها نظيرًا في القرآن، مثل فكرة أن النبوّة لها «ختم» (دانيال ٢٤:٩، حيث يناظر المصطلح العبري المستخدم الكلمة العربية «خاتم»)(۱)، وأن الملاك جبريل يتواصل مع رسول الله (دانيال ١٦:٨)، والإشارة إلى الرب على أنه الحيّ القيّوم (قارن آية ٢٥٥ من سورة البقرة، وسفر دانيال ٦: ٢٧، حيث الرب حيّ قيّوم)(٢)(٢)، ولا نعثر على مثل ذلك في

U. Rubin, "The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy: On the Interpretation (1) of the Quranic Sūrat al-Aḥzāb (33)", ZDMG 164i (2014): 65–96, at 91–92; and H. Bobzin, "The Seal of the Prophets': Towards an Understanding of Muhammad's Prophethood", In A. Neuwirth and N. M. Marx, eds., The Qur'ān in Context: Historical and Literary Investigations into the Qur'ānic Milieu, Leiden, 2010, 576–577.

G. S. Reynolds, The Qur'an and the Bible: Text and Commentary, New Haven, 2018, (Y) 99 ad Q 2:255.

⁽٣) ونقرأ في سورة آل عمران آية ٢٦: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِنْ تَشَآءُ وَتُنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُمُ مِن تَشَآءُ وَتُعِزُلُ مَن تَشَآءُ مِيكِكَ ٱلْمُغَرِّ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. بينما في سفر دانيال

أيّ موضع آخر من الكتاب المقدّس العبري، وثمّة أدلة أخرى على أن روايات الإصحاحات ١-٦ قد تركت بصماتها على محتوى القرآن (١).

يتناول الإصحاح السابع -مردِّدًا صدى الإصحاح الثاني- نظرية الممالك الأربع (ممثلةً في وحوش تخرج من البحر) التي ستحكم العالم بالتتابع، ثم تليها نهاية العالم والعصر المسياني. ويجدر بنا أن نؤكّد هنا على أنه في العصور القديمة المتأخرة، جاء كلّ من المؤلفين اليهود والمسيحيين لرؤية روما بوصفها المملكة الرابعة والأخيرة (أو، في بعض الحالات، كمملكة استثنائية خامسة) (7).

٢١:٢: «وهو يغيّر الأوقات والأزمنة يَعزِلُ مُلوكًا وينصّبُ ملوكًا، يعطي الحكماء حكمة، ويعلّم العارفين فهمًا». (المترجم).

A. Geiger, Judaism and Islam, 152–153; A. J. Silverstein, "Unmasking maskh: (1)
The transformation of Jews into "apes, driven away" (Quran 7:166) in Near
Eastern context", JSAI (Forthcoming); etc.

⁽٢) لمراجعة المعالجة الكلاسيكية لنظرية الممالك الأربع، انظر:

J. W. Swain, "The Theory of the Four Monarchies: Opposition History under the Roman Empire", CP 35 (1940): 1–21. See also N. Roth, Jews, Visigoths and Muslims in Medieval Spain: Cooperation and Conflict, Leiden, 1994, 205 ff.

)."("The Four Kingdoms in Jewish Interpretation

⁽٣) ثمة حقيقة مهمة بشكل خاص في هذا السياق وهي تعيين سفر دانيال لـ(اليونان) كمنافسين لـ(بلاد فارس) وهو ما يمكن اعتباره إشارة إلى بيزنطة/ روما، وبالتالي فتح إمكانات رؤى سفر دانيال أمام أولئك الذين عاشوا في العصور القديمة المتأخرة ممن يرغبون في قراءة واقعهم الخاص في رؤى سفر دانيال. كما تنص الترجمة السريانية لقصة الإسكندر الأكبر، وهي العمل المحوري للغاية في تأطير



بينما يحتوي الإصحاح الثامن على رؤية «الكبش والتيس»، حيث يوغل الكبش ذو القرنين (يمثلان مادي وفارس، آية: ٢٠) في الأرض من خلال الفتوحات، ولن يهزمه سوى تيسٌ من الغرب (يمثل ملك اليونان، آية: ٢١). بعد ذلك ينقسم قرن التيس إلى أربعة قرون أصغر، يخرج منها بشكل خاصّ حاكم (قرن) شرير ينتهك قداسة الهيكل (آية: ١١)، ويعلق الأضحيات لمدة ٢٣٠٠ صباح ومساء، وبعد ذلك يَطْهُر الهيكل. وبما أن الهيكل كان يشهد أضحيتين في اليوم، فقد استمر تعطيل الأضحيات لمدة ١١٥٠ يومًا، أي ما يزيد قليلًا عن ثلاث سنوات.

بعبارة أخرى، نحن نقف الآن في هذا الإصحاح حيال تنافس بين (الفرس) و(الإغريق)، يستغرق (بضع) سنين، تسوء فيها الأمور للغاية بالنسبة إلى اليهود وهيكلهم، قبل أن يستعيدوا طقس الأضحيات. وسوف نرى لاحقًا أن الحاخامات في العصور القديمة المتأخرة فسروا الكبش على أنه الإمبراطورية الفارسية، والتيس على أنه الإمبراطورية الرومانية، وأن وصف الحاكم الشرير بأنه (ملك كالح المُحيّا) (آية: ٢٣) سوف يتكرّر مرة أخرى في المصادر الأبوكاليبسية اليهودية التي تعود إلى القرن السادس أو السابع.

السياق الإسكاتولوجي لآيات سورة الروم (٢-٥)، بوضوح على ما يأتي: «وهكذا يجب أن تتلاشى قوة السياق الإسكاتولوجي لآيات سورة الرومان...» (in Shoemaker 2018, 84;).



وفي الإصحاح التاسع، نجد رؤية (السبعين أسبوعًا)، والتي تتحدّث عن نبوءة إرميا بأن اليهود سيعانون مدة ٧٠ عامًا من خراب الهيكل (إرميا ١١:٢٥ و ٢٠:٢٩). وفي سفر دانيال، يوضح جبريل أن السبعين عامًا التي ذكرها إرميا هي في الواقع ٧٠ «أسبوعًا من السنوات»، أي: ٤٩٠ عامًا.

بينما يخبرنا الإصحاح العاشر أنّ هناك ممثلين سماويين لكلّ قوة أرضية، وهؤلاء الملائكة يلعبون دورًا في تحديد مصير الإمبراطوريات التي يمثّلونها. يتحدث الإصحاح عن ملاك بلاد فارس (حرفيًّا: «الرجل الأنيق») بدلًا من الملاك المُرسَل إلى دانيال (الذي يُفترض أنه جبريل، استنادًا إلى الإصحاح الثامن والتاسع). فقد تمكّن ملاك الفرس من احتجاز جبريل لمدة ٣ أسابيع (الآية: ١٣)، حتى تمكن ملاك اليونان من تحريره (الآية: ٢٠). نحن هنا أيضًا أمام تنافس إمبراطوري فارسى - يوناني، مع تفاصيل إضافية توضّح أن الأحداث الأرضية تعكس أحداثًا سماوية فحسب، وأن الفرس سينجحون في السيطرة على الأمر مؤقتًا، لمدة (ثلاثة أسابيع) فحسب. وبينما يصرّح النص بوضوح بأن الفرس سيطروا لمدة ثلاثة أسابيع وليس لمدة ثلاث سنوات، فإن أدلة الإصحاحات السابقة (حيث أصبحت السبعين عامًا من نبوءة إرميا، «سبعين أسبوعًا من السنوات» في سفر دانيال) وحقيقة أنه في كل من سفر دانيال ٨ و١٢ (كما سنرى)، تم تحديد فترة ثلاث سنوات أو نحو ذلك، مما قد يدفعنا إلى التساؤل بحذر عمّا إذا كان هناك مَن يقرأ (الأسابيع الثلاثة) المذكورة هنا على أنها (ثلاثة أسابيع من السنوات) أم لا. في الواقع، تذكر نبوءات خسرو الثاني حول الحرب البيزنطية - الساسانية، كما يرويها ثيوفيلاكت سيموكاتا Theophylact Simocatta، أن الفرس (حرفيًّا: «البابليون») سوف يهيمنون على الرومان لمثل هذه الفترة:

«كن واثقًا أن المصاعب ستتوالى بدورها ضد الرومان؛ ستسيطر السلالة البابلية على الدولة الرومانية لمدة ثلاثة أعوام. بعد ذلك، سوف يستعبد الرومان الفرس لمدة خمس سنوات من الحكم، وعندما تجري الأمور على هذا النحو، سيَعُمُّ البَشَرَ يومٌ بلا مساءٍ وسيتحقّق المصير المتوقّع...»(١).

استثارت هذه الفقرة -التي تحظى بمكانة مركزية في حجاج تيسي وشوميكر - المؤرخين المعاصرين الذين سعوا إلى تحديد مدة الـ ٢١ عامًا المذكورة في مخطط الحروب البيزنطية - الساسانية في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع: فقام بعضهم بتقدير بداية الفترة في ٢٠٣/ ٤٠٤، وفي هذه الحالة تنتهي في ٢٦٤/ ٥٦٥، بينما اقترح بعضهم الآخر الأعوام ٥٩١ - ٢١٢ كسنوات ذات صلة. ولكن، كما يقول شوميكر، لا يتناسب أيُّ من الخيارات المقترحة مع الأحداث التاريخية (٢).

Shoemaker 2018, 76; and Tesei 2018, 7. (1)

Shoemaker 2018, 77–78. (٢)



هذه السنوات بسبب كونها أرقامًا طوبولوجية وليست حرفية، تعكس فترة (ثلاثة أسابيع من السنين) من سيطرة الفرس المؤقتة على الرومان/ اليونان، كصدًى واع (هل هو وفاء؟) للغة وأفكار سفر دانيال الإسكاتولوجية.

يواصل الإصحاح الحادي عشر لسفر دانيال الحديث عن التنافس الفارسي اليوناني (الآية: ۲)، بما في ذلك التنافس بين ملك الجنوب وملك الشمال، وسوف يدمر هذا الأخير الهيكل ويُبطل الأضحيات (راجع سفر دانيال ٨ وسوف يدمر هذا الأخير الهيكل ويُبطل الأضحيات (راجع سفر دانيال ٨ و ١٢). وأخيرًا، في الإصحاح ١٢، تم وصف آخر الزمان، بدءًا من فترة الضيق الكبير، والتي سينجو فيها الصالحون من أمّة دانيال (حرفيًّا: «كلّ مَن يوجد مكتوبًا في السفر»، الآية: ١)(١). ثم تكون قيامة الأموات؛ فالثواب (للأبرار) والعقاب (للمذنبين)، وقد انكشف الوقت المتبقي على النهاية لدانيال: وهو مدة ١٢٩٠ يومًا من خراب الهيكل (الآية: ١١)، وطوبي لمن يثابر وينتظر حتى يصل إلى مدة ١٣٥٠ يومًا فسوف يفرح (الآية: ١١).

لكي نلخّص كلّ ذلك حتى الآن: من الواضح أن سفر دانيال (خاصة الإصحاحات ٧-١٢) يحتوي على جميع العناصر الموجودة في آيات سورة الروم (٢-٥)، كما فهمها المفسرون المسلمون: لدينا تنافس بين بلاد فارس

⁽١) فَلْنلاحظ أَن سفر دانيال ١٢ يفتح الإصحاح بالكلمات (١٥لا ההיא)، وهي المكافئ العبري التوراتي لكلمة {يومئذٍ} الواردة في الآية ٤ من سورة الروم.

واليونان/ الرومان، وفترة مؤقتة تبلغ ثلاثة أسابيع (الإصحاح ١٠) أو من ثلاث إلى أربع سنوات (الإصحاح ٨) سيتمكن الفرس خلالها من الاستيلاء على مقاليد الأمور، فقط قبل أن تحلّ الإمبراطورية اليونانية محلّها مرة أخرى، أو لفترة مؤقتة - تزيد قليلًا عن ٣ سنوات - يمتنع فيها اليهود عن الصلاة في الهيكل (الإصحاح ١٢). ويستغرق قدوم العالم إلى نهايته مدّة تزيد قليلًا عن الثلاث سنوات يتم خلالها تعليق الشعائر الدينية، ولكن بعد ذلك سوف يفرح المؤمنون «أولئك الذين سينجون من الفوضى».

وعلى نحو حاسم، واصلت مواد سفر دانيال V-1 إلهام المؤلفين اليهود والمسيحيين في العصور القديمة المتأخرة (۱). على سبيل المثال، يخبرنا سفر إلياهو في القرن السابع، الذي يعتمد عليه كلّ من تيسي وشوميكر في تسييق آيات سورة الروم (Y-0), بما يأتى:

"سوف يصطدم آخر ملك يحكم بلاد فارس بالرومان لمدة ثلاث سنوات متتالية حتى يوسع [ملكه] ضدهم لمدة اثني عشر شهرًا... وفي اليوم العشرين من نيسان، يصعد ملك من الغرب، يدمّر ويرعب العالم؛ سينتهك حرمة (الجبل المقدس الجميل) (دانيال ٢:٥١) ويحرقه. والمرأة التي أنجبته هي الأكثر لعنة

⁽۱) لمطالعة الأدلة المسيحية على ذلك، انظر: شوميكر، ٢٠١٤، ص٤٥ وما يليها. بينما سنناقش الأدلة التلمودية أدناه.



بين النساء جميعًا: وهذا هو (القرن) الذي تنبّأ به دانيال، وهذا اليوم سيكون يوم عذاب وحرب ضد إسرائيل»(١).

وبالمثل، نعثر في التلمود البابلي على العديد من الإشارات إلى الحقيقة القائلة بأن الحاخامات الذين عاشوا في العراق الساساني ربطوا بين مواد سفر دانيال الإسكاتولوجية وبين ظرفهم الخاص (٢). وسوف ننتقل الآن إلى مناقشة الأدلة التلمودية.

www.tafsir.net

Reeves 2005, 33; quoted in Tesei 2018, 8; deployed in Shoemaker 2014, 551; (1) and Shoemaker 2018, 92–94 and 96.

E. g. Avodah Zarah 2a-b; Yoma 77a; Yoma 10a. See generally, R. Raviv, "The (Y) Talmudic Formulation of the Prophecies of the Four Kingdoms in the Book of Daniel" JSIJ 5 (2006): 1–20 (in Hebrew).

تأطير تقاليد التفسير: المواد التلمودية:

بصرف النظر عن مواد سفر دانيال، كان التنافس بين فارس وروما مصدر قلي طبيعي وموضوعًا للنقاش في العصور القديمة المتأخرة اليهودية. فالافتراض الذي ساد بين [الكثير] من اليهود الذين عاشوا في القرون السابقة على ظهور الإسلام هو أن الشعب اليهودي عاش إمّا تحت الحكم الروماني أو الفارسي، ونعثر على توضيح جيد لتلك النقطة في سفر أخنوخ الذي يرجع إلى القرن الخامس أو السادس؛ إذ يخبرنا بما يأتى:

«في كلّ يوم يجلس الشيطان مع صموئيل ملاك روما، ومع دوبيل ملاك بلاد فارس، ويكتبون خطايا إسرائيل على ألواح الكتابة التي يسلمونها إلى السيرافيم (١)، حتى يتمكنوا من تقديمها للرب القدوس، فلربما يُهلِك إسرائيل من العالم. ولكن السيرافيم يعلمون من أسرار القدوس المبارك، أنه لا يريد هلاك شعب إسرائيل» (٢).

وكما رأينا من قبل في سفر دانيال ١٠، حيث كان للإمبراطوريات ممثلون سماويون، نرى هنا أيضًا ممثلي روما وفارس هم «الذين يكتبون خطايا

⁽١) السيرافيم the Seraphim مجموعة من الملائكة الحافين من حول العرش المذكورة في سفر إشعياء، والكلمة عبرية، وتعني: «المضيئون أو الساطعون». (المترجم).

H. Odeberg, ed./trans., 3 Enoch or The Hebrew Book of Enoch, Cambridge, (Y) 1928, 26.12.



إسرائيل» من أجل عرضها على الربّ. وفي فقرة تلمودية مثيرة للاهتمام ترد في رسالة يُومَا (Yoma 77a)، حيث يُقتبس فيها من سفر دانيال ١٠، يُشير الحاخامات إلى (ملاك) بلاد فارس، وهو ملاك مجهول الاسم في سفر دانيال، باسم (دوبيل). ولا يكتفي دوبيل (وأُمّته الفارسية) باحتجاز جبريل (وأراضيه الغربية) لمدة ٢١ يومًا فحسب، بل يضيف الحاخامات أن دوبيل مُنِحَ ٢١ (ملِكًا) ليحكموا أراضيه (بالإضافة إلى مرفأ بحريّ). إنّ إضافة هذه التفاصيل التي تبدو لأول وهلة غير ذات أهمية تجعل نصّ سفر دانيال يتماشى مع الحقائق الجغرافية الساسانية، حيث نرى تقسيم الأراضي الفارسية إلى ١١ منطقة في مدرسة (البلخي) الخرائطية، والتي مثلت التقاليد الجغرافية الإيرانية قبل الإسلام، وأنتجت أطلسًا جغرافيًا مكونًا من ٢١ خريطة بشروحاتها(١).

لقد جرى التعبير أيضًا عن انقسام الشعب اليهودي في العالم بين اليهود الفارسيين (البابليين) واليهود الرومانيين (أرض إسرائيل) بطرق أخرى، فقد حظيت تلك الإمبراطوريات بأكاديميات تلمودية دخلت عادةً في منافسة مفتوحة مع بعضها بعضًا من أجل حيازة الصدارة والمكانة. وعلى هذا النحو، قام الحاخامات البابليون بإضفاء طابع رسميّ على سموّ مكانتهم من خلال مفهوم

G. R. Tibbetts, "The Balkhī School of Geographers," in J.B. Harley and D. (1) Woodward, eds., The History of Cartography, Volume 2, part 1, Chicago, 1992, 108–155 at 114.



نرجمات

(النسل البابلي الخالص). وكانت الفكرة التي ينطوي عليها هذا المفهوم هي أن السلطات الرومانية استطاعت أن تتدخّل في حياة رعاياها اليهود وأنشطتهم الدينية لدرجة لا يمكن معها الحفاظ على اليهو دية (الخالصة) هناك، وأن الحاخامات البابليين هم الذين حافظوا على التقليد غير المُدنس(١). وبالطبع كان لعقدة التفوّق هذه تداعيات عملية «امتناع الزواج (الداخلي) مع يهود (أرض إسرائيل) على سبيل المثال»، ولكن كان لها تداعيات رمزية أيضًا: فقد كانت فكرة هجرة العقول التلمودية البابلية إلى أكاديميات أرض إسرائيل مستبشعة للغاية لدرجة أنها اعتبرت علامة على قرب ظهور المسيح/ المسيا. وقد عبّر عن ذلك عالم القرن الثالث الحاخام أبا بار كاهانا Abba b. Kahana بقوله: «إذا رأيت مجالس أرض إسرائيل مملوءة بالبابليين، فلربما عليك أن تُنصت إلى خطى المسيا»(٢). وهكذا، رأى علماء اليهود أن عالمهم منقسم بين الفرس والروم، من خلال نسختهم الصغيرة من التنافس الإمبراطوري. وتبيّن لنا

See A. Oppenheimer, "Purity of Lineage in Talmudic Babylonia," in Manières (1) de penser dans l'Antiquité méditerranéenne et orientale, Leiden, 2009, 145–156; idem, "The Genealogical Boundaries of Jewish Babylonia, Zion 50 (1985): 173–187; and, most recently, G. Herman, "Babylonia of Pure Lineage: Notes on Babylonian Jewish Toponymy," in M. Piotrkowski, G. Herman and S. Doenitz, eds., Sources and Interpretation in Ancient Judaism: Studies for Tal Ilan at Sixty, Leiden, 2018, 191–228.

⁽٢) Lamentations Rabbah 1:43. يُعتقد على نطاق واسع أن هذا النصّ يرجع إلى القرن السادس. وقد يكون الحاخام أبا بار كاهانا ذاته قد انتقل من بابل إلى أرض إسرائيل.



عبارة أبا بار كاهانا السرعة التي يمكن أن يتخذ بها حتى هذا التنافس (الأكاديمي) مسحة إسكاتولوجية.

والدليل الأكثر أهمية بالنسبة إلى غرضنا البحثي هو أن الحاخامات التلموديين كانوا على وعي تام بحالة التنافس الإمبراطوري ذاتها وصداها الأبوكاليبسي المحتمل. ثمة فقرتان؛ الأولى من رسالة (العبادة الغريبة) (۱) (Yoma (10a) (10a)، والأخرى من رسالة يُومَا (۲) (10a) من تستحقان مزيدًا من الاهتمام في هذا الطرح.

يبدأ النقاش في رسالة (العبادة الغريبة) بتفسير الآية ٩ من سفر إشعياء ٤٣: «اجتمعوا يا كلّ الأمم معًا وَلْتلتئم القبائل. مَن منهم يخبر بهذا ويعلمنا بما وقع سابقًا؟ ليقدموا شهودهم ويتبرروا، أو ليسمعوا فيقولوا: صدق». يشرح الحاخاميون أنّ ذلك يحدث في آخر الزمان، عندئذ، سيطلب الله من كلّ إمبراطورية أنْ تُشِب أنها تستحق الشواب على خدمة دراسة التوراة، وأن الإمبراطورية الرومانية ستدخل في حضرة الله أولًا، مستندين في ذلك إلى سفر

⁽١) رسالة (العبادة الغريبة) أو (الوثنية)، بالعبرية: لا ١٦٦٦ ١٦٦، رسالة تلمودية يعالج موضوعها الرئيس الشرائع اليهودية لليهود الذين يحيون بين الأمم بما في ذلك (الوثنيون). (المترجم).

⁽٢) رسالة يُومًا Yoma، رسالة من التلمود البابلي يعالج موضوعها بشكل رئيس شرائع يوم الغفران. (المترجم).



دانيال ۲۳:۷، ومرادفين بين الرومان وبين المملكة الرابعة المذكورة في آية سفر دانيال ۷. ثم يُقال لنا: إن الرب سيسأل الرومان عما فعلوه حتى يستحقوا هذا الثواب. وسوف يُدحَض ادعاؤهم -بأن مشروعات البناء المختلفة التي قاموا بها كانت من أجل تشجيع دراسة التوراة - وسيغادرون حضرة الرب صاغرين. وبينما يُثاب المؤمنون في آخر الزمان، وعندئذ يفرحون، بحسب سفر دانيال ۱۲، نرى هنا الرومان في آخر الزمان وهم يُحْكَم عليهم ويرجعون صاغرين.

ثم يواصل التلمود: «تغادر الإمبراطورية الرومانية حضرة الرب، ثم تدخل الإمبراطورية الفارسية من بعدها». فما هو سبب أن يأي الفرس ثانيًا بعد الرومان؟ لأن الفرس يأي ترتيبهم بعد الرومان في الأهمية. كما ورد في سفر دانيال ٧:٥: «وإذا بحيوان آخر ثانٍ شبيه بالدبّ». ويعلّق الحاخام يوسف بقوله: هؤلاء هم الفرس، «وهم يأكلون ويشربون مثل الدبّ، وهم سمان مثل الدببة، وينمو شعرهم كالدببة، ولا يستريحون أبدًا مثل الدبّ» (۱). هنا، مرة أخرى، سيسألهم الربّ عمّا فعلوه، وسوف يصرّون أيضًا على أن بناياتهم وأنشطتهم سيسألهم الربّ عمّا فعلوه، وسوف يصرّون أيضًا على أن بناياتهم وأنشطتهم

⁽۱) نعثر أيضًا على هذا التناظر بين الفرس و(الدببة) في اسم الملاك الحارس للفرس (دوبيل) Dubbiel (والذي يعني حرفيًّا: دبّ الرب). ومع ذلك، نلاحظ أنه في تقاليد سفر دانيال السريانية، كان (الدب) يشير إلى الماديين، بينما يُشار إلى (بلاد فارس) بالنمر الأسود. انظر:

K. D. Jenner, "Syriac Daniel," in J. J. Collins and P. W. Flint, eds., The Book of Daniel, Volume 2: Composition and Reception, Leiden, 2014, 608–637 at 633.



الأخرى كانت تهدف إلى خدمة دراسة التوراة، وسيحتج الرب بأنهم ما فعلوا كلّ هذا أيضًا إلا لأغراضهم الخاصّة. وسيغادر الفرس صاغرين أيضًا.

في أعقاب ذلك، يسأل التلمود: «ولكن لماذا لمّا رأت الإمبراطورية الفارسية أن الحجج التي قدمتها الإمبراطورية الرومانية قبلها غير مجدية تمامًا، تقدمت [بنفس الحجج] مرة أخرى؟ يجيب التلمود: يقولون: إن [الرومان] دمّروا الهيكل بينما نحن بنيناه».

ويستمر التلمود في سرد تقدُّم الأمم الأخرى بالادعاءات ذاتها، فيرجعون بذات النتيجة. وبطبيعة الحال يتساءل الحاخاميون عن سبب قيامهم بذلك الأمر، ولكن هناك سؤال مختلف يؤرقهم أكثر من ذلك: إذ يسأل الحاخاميون: «ما هو الشيء المميز لدى هاتين [الإمبراطوريتين] اللتين تم تمييزها [بالاسم]، عن تلك [الإمبراطوريات الأخرى اللاحقة التي تقربت من الرب] التي لم يتم تمييزها [بالاسم]؟ [يجيب التلمود] لأن هؤلاء (روما وبلاد فارس) يمتد ملكهم حتى مجيء المسيا». (التقويس مني).

يتصل هذا النقاش الموسّع بغرضنا من ثلاثة أوجه؛ أولاً: يوضح مدى قدرة تأثير سفر دانيال على رؤية اليهود للعالم في العصور القديمة المتأخّرة. ثانيًا: يعقد مقابلة بين الفرس المعروفين بين الحاخامات بمساعدتهم في بناء الهيكل (في ظلّ حكم كورش الكبير)، وبين الرومان أصحاب السمعة السيئة في

الأوساط الحاخامية بسبب تدميرهم للهيكل (نعود للمزيد بشأن هذه المسألة أدناه). ثالثًا: يفترض الحاخاميون أن الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية هما القوتان اللتان ستستمران حتى العصر المسياني. وهذا يتناسب مع تفسير تيسي وشوميكر للتقاليد التفسيرية حول آيات سورة الروم (Y-0): سينتصر الروم على الفرس أو العكس، ثم تكون أحداث آخر الزمان.

وربما تكون المناقشة التلمودية الثانية، الواردة في رسالة يُومَا، أوثق ارتباطًا بآيات سورة الروم (٢-٥) وتفسيراتها. قال الحاخام يشوع بن ليفي Yehoshua نقل: ben Levi: حدثني الحاخام يهوذا ناسي Yehudah ha-Nasi، قال:

«قدر روما أن تقع في أيدي الفرس، كما هو مذكور في سفر إرميا ٢٠:٤٠ (لذلك اسمعوا مشورة الربّ التي قضى بها على أدوم وأفكاره التي افتكر بها على سكان تيمان، إنّ صغار الغنم تسحبهم إنه يخرب مسكنهم عليهم)»، اعترض الحاخام بار علا bar Ulla على ذلك بقوة؛ من أين لنا أن نستدلّ على أن هذه العبارة (صغار الغنم) تعني بلاد فارس؟ نستدلّ على ذلك بالآية ٢٠ من الإصحاح الثامن لسفر دانيال التي تقول: «أمّا الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادي وفارس»، [والكبش أحد أغنام القطيع]. [ومع ذلك، كيف ينهض هذا الدليل؟] فلنهب أن عبارة (صغار الغنم) تشير بدلًا من ذلك إلى اليونان، كما نقرأ في الآية ٢١ من الإصحاح الثامن لسفر دانيال: «والتيس العافي هو ملك اليونان».



إذن، لدينا هنا نبوءة بأن الفرس سوف يتغلبون على الروم، بناءً على التفسير الكتابي، مع استشهادات محددة من الإصحاح الثامن لسفر دانيال. ويتواصل النقاش حول التفسير الدقيق للآيات التوراتية:

«عندما صعد الحاخام خافيفا بن سورماكي Ḥaviva b. Surmaqei [من بابل إلى أرض إسرائيل]، وذكر [هذه الإشكالية] أمام أحد الحكماء، فقال له: «من لا يعرف كيف يفسّر الآيات يثير اعتراضًا على رأي الحاخام الأكبر [يهوذا ناسي]؟ من هم (صغار الغنم)؟ [إنها تعني] أصغر الإخوة [وبالتالي، فهي إشارة إلى بلاد فارس]، كما أخبرنا الحاخام يوسف: "تيراس، [أصغر أبناء يافث]، هو بلاد فارس"».

وفي الفقرة التالية، يتم تقديم المزيد من الأدلة التوراتية على النبوءات التي تكتنف العلاقات بين روما وبلاد الفرس. ثم يُساق رأي حاخامي آخر يؤكّد بدوره على النبوءة ذاتها (بأن الروم سيُغلبون على يد بلاد فارس) ولكنه يصل إليها من خلال الاستنتاج المنطقى:

«قال الحاخام بارحنا bar Ḥanah [إن] الحاخام يوغانان Yoḥanan قال نقلًا عن الحاخام يهودا Yehudah ابن الحاخام إيلاي Elai: قدر روما أن تقع في أيدي الفرس. ويُستَدل على ذلك من خلال الحجة الأولى، أو حجة (من باب أولى) fortiori: تمامًا مثلما حدث مع الهيكل الأول الذي بناه أحفاد سام

ودمّره الكلدانيون، [وبالتالي] سقط الكلدانيون في أيدي الفرس، فإن الهيكل الثاني بناه الفرس ودمّره الرومان، أليس من باب أولى أن يسقط الرومان في أيدي الفرس؟».

حتى الآن، لدينا إجماع بين الحاخامات على النتيجة النهائية للتنافس الإمبراطوري (سينتصر الفرس)، بعد أن توصّلوا إلى هذا الاستنتاج من خلال منهجيات مختلفة. والآن، يتحوّل النقاش إلى رأي بديل بشأن التنافس بين الروم وبلاد فارس نعثر عليه في فقرة قصيرة ذات تشابه لافت للنظر مع آيات سورة الروم (٢-٥) (مثلما نظر إليها المفسرون):

«[وفي المقابل]، قال الراف (۱): قدر بلاد فارس أن تقع في أيدي روما، فقال الحاخام كاهانا Kahanah والحاخام أسي Asi للراف: مَن شيّدوا الهيكل [سيسقطون] في أيدي مدمِّريه؟ [هل هذا عدل؟] فقال لهم: نعم، هكذا أمر الرب (גזירת מלך היא). ويقول بعضٌ إنه أجابهم: إنهم أيضًا مدمِّرون للمعابد اليهودية (وبالتالي ليسوا أفضل حالًا من الرومان)».

⁽١) الراف أو المار تطلق على الشارح أو المفسر أو الفقيه (أمورائي) البابلي. (المترجم).



وجهة النظر هذه المنسوبة هنا إلى (الراف) أكثر إثارة للاهتمام بالنسبة إلينا مما قد تبدو عليه للوهلة الأولى (۱). فقد أثبت الباحثون المعاصرون أن السبب الثاني المذكور لهزيمة الفرس في المستقبل على أيدي الرومان (وهو تدمير الفرس للمعابد أيضًا) ما هو إلا إضافة لاحقة دخيلة على كلام الراف (۱). وبالتالي، فإن كلام الراف يدور على قسمين فقط؛ فبداية يتنبأ أن روما ستهزم بلاد فارس، ثم يعلّل لماذا يجب السماح بحدوث ذلك على الرغم من شهرة الفرس كمشيّدين للهيكل وسوء سمعة الرومان كمدمّرين له، أقول: يعلل ذلك بساطة بأنها إرادة الرب. وبعبارة أخرى، يقول الراف: «روما ستهزم بلاد فارس؛ لأن الرب قضى بذلك». وبالعودة إلى آيات سورة الروم (۲-٥)، نجد أن هذه هي بالضبط الرسالة التي تريد أن تبلغها الآيات، والتي أعيد اقتباسها هنا مع تسليط الضوء على نقاط التقاطع مع كلام الراف:

I. Gafni, "Concepts of Periodization and Causality in :(۱) راجع (حول هذا النقاش بوجه عام): .Talmudic Literature," Jewish History 10i (1996): 21–38 at 27

R. Kalmin, Jewish Babylonia between Persia and Roman Palestine, Oxford, 2006, (Y) 122–129.



تناظر العبارة التلمودية: «هكذا أمر الرب» العبارة القرآنية: {لله الأمرُ}. وقد جادل شوميكر بأن كلمة {الأمر} في هذا السياق تشير إلى {وعد} الله، بما يتوافق مع قراءته الإسكاتولوجية (۱) ولكن يبدو لي أن هذا تحميل للكلمة بما لا تحتمل إذا ما أخذنا في عين الاعتبار هذا التناظر التلمودي الأقرب والأكثر حرفية. وفي الحقيقة، فإن النبوءات التلمودية حول التنافس بين روما وبلاد فارس تنتهي بفقرة أخرى منسوبة إلى الراف توحي ضمنًا بأنّ الارتباط بين هذا الحدث وأحداث آخر الزمان، وهو ما يجادل به تيسي وشوميكر، كان بالفعل موجودًا في أذهان الحاخامات التلموديين:

«لقد نُقِل إلينا أيضًا [شفاهة]: من المقرّر أن تقع بلاد فارس في أيدي روما...(٢) هكذا أمر الرب أن [يَسقط] البناؤون في أيدي المدمرين، كما قال الحاخام يهوذا، قال الراف: لن يأتي ابن داود قبل أن تبسط مملكة روما الشريرة [هيمنتها] على جميع أنحاء العالم لمدة تسعة أشهر، كما جاء في الآية ٣ من الإصحاح الخامس في سفر ميخا: "لذلك يسلمهم حينما تكون قد ولدت والدة ثم ترجع بقية إخوته إلى بنى إسرائيل"».

Shoemaker 2018, 151. (1)

⁽٢) قمت هنا بحذف العبارة التي تتحدث عن تدمير الفرس للمعابد اليهودية أيضًا بعد أن تبين -كما سبق- أنها إضافة لاحقة على كلام الراف.



ومرة أخرى، يكرّر التلمود حديث الراف بأنّ روما ستهزم الفرس لأنّ هذه النتيجة هي من أمر الله، ولكن هذه المرة تضيف توضيحًا آخر منسوبًا إليه مفاده أنّ انتصار روما [المؤقت] هو شرط مسبق لظهور المسيح ("ابن داود").

يتبيّن لنا من خلال مراجعة تلك المواد التلمودية السابقة عدد من النقاط؛ النقطة الأولى: وهي الأقل وضوحًا بالنسبة إلى غير المتخصصين، هي هذه الأسبقية المبكّرة لحضور الطروحات التلمودية بشأن التنافس بين روما ويلاد فارس. فقد كان «الراف» (واسمه الكامل: أبا بن أيبوك Abba b. AyboK ١٧٥-٢٤٧م) فقيهًا من شرّاح القرن الثالث، وكان يهوذا ناسى (١٣٥-٢١٧م) أحد حاخامات الميشنا Tanna النشطين في أواخر القرن الثاني. وبينما يتم النقل عنهم في التلمود البابلي، المحرّر في القرن الخامس، يتضح أن نبوءات التنافس بين روما وبلاد فارس وأهميتها لليهود ونهاية العالم كانت نبوءات متداولة لقرون قبل ظهور الإسلام، سواء في الأراضي الرومانية (يهوذا ناسي) أو الفارسية (الراف). النقطة الثانية: استمر انطباع مواد سفر دانيال الإسكاتولوجية عن الماضي والحاضر والمستقبل للإمبراطوريات -وخاصة الفارسية واليونانية/ الرومانية- في ممارسة تأثيره على الحاخامات من الجانبين: بابل/ الأرض المقدسة. ثالثًا: في مناقشتهم حول ما إذا كانت روما سوف يتم غزوها في نهاية المطاف من قِبل الفرس أم العكس، كان الحاخاميون يتوقعون المناقشة التفسيرية لآيات سورة الروم (٢-٥) قبلها بقرون. إن الكثير من



الأعمال التفسيرية القرآنية تم تصنيفها في سوريا، وخاصة في العراق، على مرمى حجر من الأكاديميات اليهودية، وهو ما قد يغري بالنظر في ربط المواد التلمودية بتفسير الآيات، لكنني سأقاوم بحذر هذا الإغراء وسوف ألفت الانتباه ببساطة إلى حقيقة أن مواد سفر دانيال الإسكاتولوجية والمواد التلمودية تستحق الدخول في أيّ مناقشة لسياق آيات سورة الروم (٢-٥)(١).

وكما ذكرنا آنفًا، فإن مواد سفر دانيال الإسكاتولوجية والمواد التلمودية المذكورة أعلاه هما الأوثق صلة في الغالب بالآيات القرآنية، بسبب نبوءاتهم حول التنافس بين روما وبلاد فارس، وهو تنافس غير مذكور بالفعل في القرآن. تركّز الآيات ذاتها بشكل حصري على مصير (الروم)، وعلى قدرة الله على تحديد مصير الروم النهائي، وعلى حقيقة أن كلّ شيء سينتهي بشكل جيد بالنسبة (للمؤمنين). ويوضح القسم التالي أن مثل هذا التقارب في الأفكار يمكن العثور عليه في مصادر مختلفة ومؤثرة (معظمها يهودية) ترجع إلى العصور القديمة والعصور القديمة المتأخرة.

⁽۱) هذا الاشتغال الذي قدّمه سيلفرستاين هنا يبتعد عن الاشتغال التفسيري ويتصادم مع أصوله، حيث يفترض عبر التناص مع الكتب السابقة على القرآن دلالات للآيات تختلف مع ما فهمه المتلقون الأواثل للنصّ، وارتباطه بحدث معيّن في واقعهم، إلا أن لمثل هذا الاشتغال مزية إثارة بعض الأسئلة التي قَدْ تهمّ الدارسين، مثل السؤال عن مَن هم المخاطبون بالقرآن، وهل يمكن أن تحمل بعض الآيات بالإضافة لدلالتها المباشرة دلالات موجهة ليهود ومسيحيى الجزيرة المخاطبين بالرسالة كذلك. (قسم الترجمات).



تأطير آيات سورة الروم (٢-٥) دونما تفسير: «الروم» في العصور القديمة المتأخرة:

إذا ما افترضنا، مع تيسي وشوميكر، أنّ آيات سورة الروم (٢-٥) تحمل المعنى الإسكاتولوجي، وأن الروم سوف ينتصرون في نهاية المطاف، فمن الغريب أن تغفل الآيات ذكر الطرف المهزوم في نهاية الصراع. يبرز هذا التغافل بشكل خاصّ في سياق أدبيات آخر الزمان في الشرق الأدنى، والتي تميل إلى التركيز على وصف الأشرار أكثر من الأبطال المنتصرين (١٠): بالطبع يُقال لنا: إنّ المسيح أو معلم الفضيلة أو أيّ مُخلِّص إلهي آخر سوف يظهر آخر الزمان، ولكن التوصيفات الأكثر إسهابًا غالبًا ما تكون من نصيب المسيح الدجال، أو الشيطان، أو إبليس، أو قوم يأجوج ومأجوج، أو الإمبراطورية الظالمة، أو غيرهم من الأشرار الذين تعتبر هزيمتهم شرطًا أساسيًا يمهد لمجيء الحقبة المسيانية. لا ينطوي الأمر ببساطة على ظهور شخصية شريرة وهزيمتها من قِبل المُخلِّص، ومن ثَم يتحقَّق السلام، بل في كثير من الأحيان، يظفر خصم المُخلِّص بنجاحات مذهلة قبل هزيمته في النهاية. وهكذا، مرة أخرى، يبقى لنا أن نتساءل لماذا لا تذكر آيات سورة الروم (٢-٥) خصوم الروم.

⁽۱) وبالمثل، إذا ما افترضنا -كما تفترض التقاليد الإسلامية وقطاع كبير من الأكاديميا الغربية - أن هذه الآيات (مكية)، فيجب علينا أن نتذكر أن القرآن المكي يركّز على العقاب الذي سيحيق بغير المؤمنين وما شابه ذلك. ولذلك، كنا نتوقع هنا أيضًا أن يكون التركيز على الفرس الذين يُهزمون بسبب عدم الإيمان، بدلًا من التركيز على البيزنطيين المنتصرين بسبب إيمانهم.



الحلّ الجليّ لهذا الطرح هو أن الطرف الشرير مذكور بالفعل في الآيات وهو الروم أنفسهم. وبالتالي، يمكن لقراءة آيات سورة الروم (٢-٥) كنص إسكاتولوجي من الشرق الأدنى أن تسفر عن التفسير التالي: لقد حقق الروم الأشرار بعض الانتصارات، ولكن هذه الانتصارات مؤقتة (لبضع سنين)، وبعد ذلك سيُّهزم الروم بأمر الله ويومئذ يفرح المؤمنون. وسوف نرى في هذا الجزء كيف أنَّ هذه القراءة تتسق تمامًا مع العديد من المواد اليهودية التي ترجع إلى القرون السابقة على ظهور الإسلام. وبالطبع تفترض هذه القراءة أن الفعل الأول مبنى للمعلوم (غَلَبَت) والفعل الثاني مبنى للمفعول (سيُغْلَبون)، وهي القراءة الأقلّ شيوعًا. ثمة خيار آخر مقترح بالطبع وهو أنّ القرآن قد يشتبك بشكل نقدي مع وجهة النظر اليهودية السائدة، ويبطل رسالتها بوعي منه، وهو الخيار الذي يسمح لنا بالإبقاء على القراءة الأكثر شيوعًا (الفعل المبنى للمفعول أولًا، ثم المبنى للمعلوم).



روما واليهود في نبوءات سيبيل:

في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، انكبّ اليهود في كلً من يهودا والإسكندرية على تصنيف نبوءات إسكاتولوجية سعت إلى استيعاب ماضي الإمبراطوريات السابقة وسرد نبوءات آخر الزمان بشأن مصير حكّام العالم، وقد ناقشنا بالفعل النسخة اليهودية من تلك النبوءات المسجلة في سفر دانيال؛ فقد عاش مصنّف سفر دانيال في عهد الحاكم السلوقي أنطيوخوس الرابع أبيف انيوس (حكم ١٧٥ – ١٦٤ قبل الميلاد)، الذي اضطهد اليهود غير الهيلينيين، ولم يكن يضمر سوءًا للإمبراطورية الرومانية. وفي الواقع، شكّل المكابيون تحالفًا مع روما ضد السلوقيين؛ وبالتالي، كان اليهود والرومان حلفاء بدلًا من كونهم أعداء.

في الإسكندرية، وعلى النقيض مما سبق، أصبح اليهود الذين يعيشون تحت الحكم البطلمي في نفس الوقت تقريبًا يزدرون الإمبراطورية الرومانية لتدخلها في الشؤون المصرية الداخلية ودعمها خصوم الحاكم. وعلى هذه الخلفية، تم تسجيل مواقف حادة معادية للرومان بشكل صارخ في الكتابات الأقدم من نبوءات سيبيل Sibylline Oracleles. وهذا النصّ (نبوءات سيبيل) نصّ معقد يتكوّن من مجموعة متنوعة من التقاليد -يهودية، وثنية، غنوصية، ومسيحية، وغيرها - التي تراكمت منذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن ومسيحية، وغيرها - التي تراكمت منذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن



السادس الميلادي كما يتبيّن لنا من تاريخ المجموعة التي لدينا الآن (۱). لقد تمكّن الباحثون من تحقيب مختلَف طبقات المجموعة تاريخيًّا، وبات مقبولًا الآن بشكل عام أن نبوءات سيبيل ٣ تحتوي على أقدم التقاليد. يرجع تاريخ أول نبوءتين في نبوءات سيبيل ٣ إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد، وهما ذواتا أهمية لنقاشنا بسبب طروحاتهم تجاه روما؛ تتحدث النبوءة الأولى (٩٧-١٦١) عن ثمان ممالك متعاقبة، من مصر إلى روما، تليها مملكة إسكاتولوجية نهائية مُستنتعة. كما تتحدّث النبوءة الثانية أيضًا (١٦٦-١٩٥) عن عدد من الممالك -تبدأ هذه المرة في عهد سليمان - ولكنها تكرّس الكثير من مناقشتها لإدانة الرومان. وفي النبوءة الرابعة (٢٥٦-٢٥٦) تذكر نبوءات سيبيل ٣ أن الرومان سيُهزمون على يد حاكم مصري، مما يعكس النزعة الوطنية المؤيدة للبطالمة لدى المُصنّف السكندري للنبوءات.

كما تتضمن نبوءات سيبيل ٣ بعض الإضافات اللاحقة: ففي إحدى الفقرات التي تؤرَّخ حتى الآن في القرن الأول قبل الميلاد، فقرة (٥٠٠-٣٨٠)، نعثر على إحدى النبوءات بأنّ (آسيا) ستنتقم من روما. وبلا شك، تعكس هذه الفقرة، بالإضافة إلى الإحالات السابقة لروما في نبوءات سيبيل ٣، كراهية المُصنّف للإمبراطورية الرومانية. ولكن على الرغم من أصالة هذه النزعة من

J. J. Collins, s. v. "Sibylline Oracles", Anchor Bible Dictionary, انظر: (۱) بشكل عام، انظر: New York, 1992, 6:2-6



الكراهية، إلا أنها لا ترقى إلى نبرة الكراهية التي نعثر عليها في الفقرات التي ترجع إلى عصر نيرون (حكم ٥٤-٦٨) فصاعدًا. ففي فقرة إضافية أخرى، يعود تاريخها إلى أواخر القرن الأول الميلادي، فقرة (٦٣-٧٤) نبوءات سيبيل ٣، نعثر على إشارات إلى نيرون تشبهه بـ «بليار Beliar» (وهي لغة في بليعال Belial)، وهي الصفة التي تجسّد الشر الكوني المشار إليها في النصوص المعاصرة (والأقدم) من عصر الهيكل الثاني، بما في ذلك مخطوطات قمران. تنبع هذه الكراهية الشديدة لنيرون من حقيقة أنه اعتُبر مسؤولًا عن الأحداث التي أدّت في النهاية إلى تدمير الهيكل(١). بتدميرها الهيكل، غدت الإمبراطورية الرومانية ليست خصمًا سياسيًّا فحسب، بل إسكاتولوجيًّا أيضًا: فجميع النصوص اليهودية الإسكاتولوجية تقريبًا التي ترجع إلى عام ٧٠ ميلاديًّا تتنبأ بأن يقوم المسيح بإبطال حكم الرومان وإعادة بناء القدس وهيكلها: إذ بإمكان المرء أن يصير مسيحًا من خلال مشاركته في بناء الهيكل (وهكذا، نري كورش

⁽۱) في وقت لاحق، تذكر النصوص الحاخامية أن الإمبراطور تيتوس Titus (حكم بين ٢٩-٨١)، كقائد عسكري مسؤول عن الحرب اليهودية الرومانية الأولى، هو الذي جاء لتدمير القدس والهيكل في عام ٢٠م، ويوصف بأنه الشرير الأعظم. قد يرجع إعادة تأهيل نيرون على هذا النحو الغريب إلى (أو ينعكس في) الاعتقاد الحاخامي بأن نيرون تحول إلى اليهودية في نهاية المطاف، وكان جدًّا لأحد حاخامات الميشنا المعروفين في القرن الثاني، الحاخام مئير (Babylonian Talmud, Gittin 56a).



الفارسي وقد لُقِّب بـ «مسيح الرب» في سفر إشعياء ٥٤: ١) أو مسيحًا دجالًا من خلال التورط في تدمير الهيكل (وهكذا، نرى وصف نيرون بأنه بليعال).

وفي النبوءة الثانية من نبوءات سيبيل ٥، فقرة (١١١-١٧٨)، والتي يرجع تاريخها إلى ما قبل ثورة اليهود الكبرى ١١٥ –١١٨م، نعثر على مزيد من التفاصيل لموقف نيرون كخصم إسكاتولوجي. في هذه الفقرة، يتم تسليط الضوء على تدمير روما للهيكل (فقرة ١٦٢ - ١٧٨)، والتنبؤ بعودة نيرون المستقبلية بوصفه مسيحًا دجالًا، وبعد ظهور نيرون سيأتي دور المُخَلِّص (فقرة ١٧٩ - ٢٨٥) الذي ينزل من السماء. قد تتناقض هذه الفقرات مع مثيلاتها السابقة في نبوءات سيبيل ٣، والتي تتنبأ بزوال روما وظهور حاكم مصري كشخص مُخلِّص. في نبوءات سيبيل ٥، كِلا الشخصيتين؛ الحاكم الروماني والمُخلِّص، شخصيات إسكاتولوجية: حيث تُهزم روما-بليار على يد شخصية مسيح سماوي، وهي نقلة تقربنا من آيات سورة الروم (٢-٥) التي تخبرنا عن الروم وعن أولئك الذين يختار الله أن ينصرهم. ويتم تكرار الحديث عن العودة الإسكاتولوجية لنيرون-بليعال في فقرات لاحقة من نبوءات سيبيل (١).

E. g. Sib.Or. 4, v. 138; 8, Sib.Or. 8, vv. 65–74, and 141 (the latter verses date (1) e, g. Sib.Or. 4, v. 138; 8, Sib.Or. 8, vv. 65–74, and 141 (the latter verses date (1) e, g. Sib.Or. 4, v. 138; 8, Sib.Or. 8, vv. 65–74, and 141 (the latter verses date (1) e, g. Sib.Or. 4, v. 138; 8, Sib.Or. 8, vv. 65–74, and 141 (the latter verses date (1) e, g. Sib.Or. 4, v. 138; 8, Sib.Or. 8, vv. 65–74, and 141 (the latter verses date (1) e, g. Sib.Or. 4, v. 138; 8, Sib.Or. 8, vv. 65–74, and 141 (the latter verses date (1) e, g. Sib.Or. 4, v. 138; 8, Sib.Or. 8, vv. 65–74, and 141 (the latter verses date (1) e, g. Sib.Or. 8, vv. 9, vv. 9



كانت نبوءات سيبيل معروفة لدى مصنفي اليهود القدماء، إذ تبني مخطوطة الحرب في مخطوطات قمران (QM 11:8) نبوءتها على أن عصر الشر الحالي سوف ينتهي عن طريق تدخُّل الرب لتدمير بليعال وأنصاره بقوة «الرائين لأشياء معينة»، وهي إشارة إلى نبوع من النبوءات الموجودة في نبوءات سيبيل (إن لم تكن نبوءات سيبيل ذاتها). ومن المثير للاهتمام، أن سفر صعود إشعياء، الذي يعود تاريخه إلى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثالث الميلادي، يقدم لنا نبوءة محددة لطول مدّة عهد بليعال بأنها: سوف تستمر مدّة ثلاث سنوات وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يومًا (Mart.Is 4:12)، وهي مدّة قريبة بشكل مُحيّر من المدة التي سيفرح بعدها المؤمنون، بحسب سفر دانيال ١٢:١٢.

ومع ذلك، كان للمصنفين المسيحيين الأوائل عناية خاصة بنبوءات سيبيل؛ لأنهم كانوا يعتقدون إلى حدّ كبير أنها تقدّم برهانًا (وثنيًّا) على ظهور المسيحية وحقيقتها. في هذا السياق، يأتي عمل لاكتانتيوس Lactantius «المبادئ الإلهية» (311–303 wr.) كأحد الأعمال المثيرة للاهتمام بشكل خاص (۱). في حديثه عن روما، ولكن قبل اعتناق قسطنطين المسيحية الذي أدى إلى دمج المصالح (الرومانية) والمسيحية، يخبرنا لاكتانتيوس أنه على الرغم

W. Fletcher (trans.), Lactantius, Divine : الإحالات إلى لاكتانتيوس مأخوذة عن (۱) الإحالات إلى لاكتانتيوس مأخوذة عن (۱) Institutes, in A. Roberts, J. Donaldson, and A. Cleveland Coxe (eds.), AnteNicene Fathers, Vol. 7, Buffalo, NY, 1886



من الثروة والقوة الظاهرة لروما، فإنّ الإمبراطورية مُكتوب عليها السقوط. في فصل بعنوان: (عن دمار العالم وتغير الإمبراطوريات)، تنبأ لاكتانتيوس أنه في المستقبل القريب:

«سوف تحيا الأرض في حالة من الاضطراب، وستندلع الحروب في كلّ مكان، وتتقاتل جميع الدول فيما بينها وتعارض بعضها بعضًا، وستتواصل النزاعات بين الدول المتجاورة: وأولًا قبل كلّ شيء، ستدفع مصر جزاء خرافاتها الحمقاء، وستغطّى بالدماء كما لو كان نهرًا».

يتشارك لاكتانتيوس مع الحاخامات المعاصرين له فكرة أن نهاية الزمان سوف تسبقها مباشرة حروب شاملة بين القوى الإمبراطورية (١). ومع ذلك، يحظى مصير روما بوضع خاص في هذه الأحداث:

«ثم يشقّ السيف العالم، ويمزق كلّ شيء، وتغدو كلّ الأشياء كهشيم تذروه الرياح، وسبب هذا الدمار والاضطراب - وأنا أخشى قول ذلك، ولكنني سأقوله لأنه على وشك الحدوث - سيكون: لأن الرومان، الذين يحكمون العالم الآن، سوف يُزاحون عن الأرض، وستعود الحكومة إلى آسيا، وسوف يحكم الشرق مرة أخرى، وسوف يعود الغرب للعبودية. ولا ينبغي أن يبدو

⁽١) في هذا السياق، في سفر تكوين راباه ٤:٤٦، نقرأ "إذا رأيت الإمبراطوريات يقاتل بعضها بعضًا، فانتظر ظهور المسيا».



الأمر مدهشًا لأيّ أحد، فإذا اتسعت مملكة على هذا النحو، ودامت لزمن طويل، وحُكِمت بمثل هذه الثروة العظيمة، فسوف تسقط في وقتٍ ما رغم كلّ شيء».

ومن المثير للاهتمام أن هذه الفوضى السياسية وسقوط الإمبراطورية الرومانية سيتبعه سيطرة (آسيوية)؛ قد تكون هذه الأفكار مدينة إلى حدِّ ما لنبوءات سفر دانيال، وخاصّة تفسيراتها التي سبقت ظهور الإسلام. في الواقع، تواصل الفقرة حديثها عن وصف أربع ممالك تقوى ثم تخبو، قبل أن تحكم الإمبراطورية الرومانية:

«وهكذا أيضًا تم تدمير ممالك أخرى في العصور السابقة، على الرغم من سطوتها لفترة طويلة؛ فقد ذُكِر أنّ المصريين والفرس واليونانيين والآشوريين دان لهم العالم، وبعد تدميرهم جميعًا آلت مقاليد الحكم إلى الرومان أيضًا. وبقدر ما يتفوق الرومان على جميع الممالك الأخرى من حيث العظمة، فإن سقوطهم سيكون أكبر بكثير؛ لأن المباني الأعلى من غيرها تكون أكثر عُرضة للسقوط».

وعلى الرغم من أن حكمه على روما هنا يبدو حكمًا تبسيطيًّا، شبيه بمنطق (كلَّما اتسعت الإمبراطورية، كان سقوطها أصعب)، يشرح لاكتانتيوس على الفور أن ثقته في زوال روما الوشيك لا يستند إلا على نبوءات سيبيل:



«ومع ذلك، تقول نبوءات سيبيل صراحة أنّ روما محكوم عليها بالانهيار، وهذا في الواقع هو حكم الرب؛ لأنها مرّغت اسمه في الكراهية، ولأنها نقيض التقوى، وأهلكت من تمسكوا بالحق».

هكذا، وبلغة لا تختلف عن آيات سورة الروم (٢-٥)، يقتبس لاكتانتيوس هنا نبوءات العرّافة سيبيل بشأن مصير روما وحكم الله عليها. ومن المثير للاهتمام أن زوال روما في هذه الحالة ليس جزءًا من سيناريو آخر الزمان، بل نتيجة مباشرة لسلوك الإمبراطورية العدائي تجاه المؤمنين، والذي كان يشير في السياق الأصلي لنبوءات سيبيل إلى تدمير القدس والهيكل، ولكنه يشير هنا في رواية لاكتانتيوس إلى اضطهاد روما للمسيحيين الأوائل.

لاحقًا في المجلد السابع من (المبادئ الإلهية)، وفي فصل خاص بـ (آخر الزمان ومدينة روما)، يعود لاكتانتيوس إلى نبوءات سيبيل حول الإمبراطورية الرومانية، رابطًا بين تدمير الرب للإمبراطورية وأحداث آخر الزمان:

"يدور الحديث حول انهيار ودمار العالم الذي سيحدث عمّا قريب، إلا أنه لا يُخشى حدوث ذلك طالما بقيت مدينة روما. ولكن عندما تسقط عاصمة العالم هذه، تشرع نبوءات سيبيل في التحقق، عندئذ، مَن يمكنه أن يشك في أن النهاية قد حانت للبشر والعالم بأسره؟!».



وهكذا، في مطلع القرن الرابع الميلادي، كانت نبوءات سيبيل حول تدمير الرب للإمبراطورية الرومانية كجزء من أحداث آخر الزمان باقية بين بعض المسيحيين. ولكن في غضون عقود من الزمن، ستصبح الإمبراطورية الرومانية الشرقية مسيحية دون أن تتنكر لهويتها (الرومانية). بالطبع، لن يتم تجاهل نبوءات سيبيل، ولكن المواقف (المسيحية) تجاه الإمبراطورية الرومانية سيتم تعديلها وتكييفها مع الرومان الذين ازداد دعمهم للديانة بدلًا من اضطهاد أتباعها^(١). وفي بعض الحالات، يتم الإبقاء على السياق الإسكاتولوجي لسفر دانيال لكن يعاد تصوير الرومان على أنهم الإمبراطورية الخامسة التي سيقيمها الله (بحسب سفر دانيال ٤٤١٢)، بدلًا من كونها رابع أربعة إمراطوريات زائلة (٢). وهذا لا يعنى أن جميع المسيحيين كانوا مؤيدين للرومان/ البيز نطيين، بل أنتجت الأرثو ذكسية اللاهوتية للمؤسسة الإمبراطورية (كما حدث على سبيل المثال في نيقية وخلقيدونية) بالضرورة جماعات ساخطة

⁽١) على سبيل المثال، يمكن العثور على مثال جيد على ذلك، في مواقف أفراهاط Aphrahat الموالية للبيزنطيين، على الرغم من أنه عاش في أراضي الإمبراطورية الساسانية (Tesei 2018).

Book VIII of Sib.Or., v. 10 has Rome as the fifth empire. Sib.Or. 8 is obviously (7) a Christian composition. For other Christian sources for this idea, see Shoemaker 2014, 540 ff. (quoting the 6th century Kosmas Indikopleustes). For Jewish sources on Rome as the fifth empire, see Raviv 2006, 5; and Sivertsev 2011, 12.

آيات سورة الروم (٢-٥) في سياق الشرق الأدني



ترجمات

من المسيحيين الذين رُفِضَت عقائدهم (۱). ومع ذلك، لم تَعُد الإمبراطورية الرومانية بشكل عام مرادفة للجَور والاستبداد والشرّ الكوني في العيون المسيحية. ولمعرفة مدى حضور مثل هذه المواقف تجاه الرومان في العصور القديمة المتأخرة، علينا أن ننتقل إلى المجتمعات اليهودية في كلِّ من الأرض المقدسة وبابل.

⁽۱) بحسب تيسي ۲۰۱۸، فإن المسيحيين العرب غير الأرثوذكسيين هم الذين نقلوا إلى المجتمع الإسلامي الناشئ المواد السريانية التي ستشكل مطلع سورة الروم.



روما واليهود في العصور القديمة المتأخرة (١):

في الوقت الذي كان مسار العلاقات المسيحية الرومانية يتحوّل عمومًا من سلبي إلى إيجابي، بدت الأمور وكأنها تسير في الاتجاه المعاكس بالنسبة إلى اليهود في يهودا. يسجّل التلمود البابلي (Avodah Zarah 8b) ما قد يكون صدى للتعاون اليهودي الروماني ضد السلوقيين في وقت المكابيين، فيقول على لسان الحاخام ديمي imil: إن الرومان خاضوا ٣٢ معركة ضد اليونانيين، لكنهم لم يتمكنوا من إنزال الهزيمة بهم حتى شكّلوا تحالفًا مع اليهود. ثم تخبرنا الفقرة التلمودية أنه بعد مُضيّ ٢٦ عامًا من التعاون بينهما، استعبد الرومان حلفاءهم اليهود.

وكما رأينا من قبل، كانت وجهة النظر السكندرية تجاه الإمبراطورية الرومانية سلبية للغاية بالفعل في القرن الثاني قبل الميلاد. حتى في الأرض المقدّسة، بدأ الموقف يزداد تدهورًا قبل وقت طويل من ارتكاب الرومان جريمتهم التي لا تُغتفر بتدمير الهيكل: في نصّ بيشير حبقوق (٢) من مخطوطات قمران يتم انتقاد الرومان (المُشار إليهم بلفظ كيتيم "Kittim" في النصّ) مرارًا،

N. de Lange, "Jewish Attitudes to the : انظر الموضوع، انظر المعالجة الكلاسيكية لهذا الموضوع، انظر (۱) Roman Empire," in P. D. A. Garnsey and C. R. Whittaker, eds., Imperialism in the Ancient World, Cambridge: Cambridge University Press, 1978, 255–281, .354–357

⁽٢) QpHab, esp. column 9. ويرجع هذا النص إلى القرن الأول قبل الميلاد.



واعتبار سلوكياتهم المقيتة بمنزلة تمهيد لمجيء الزمن الأخير وظهور (معلّم الفضيلة). وبعد مدة قصيرة من تدمير الهيكل، يتنبأ سفر عزرا ٤ -وهو نصّ يهودي أبوكاليبسي ويعدُّ نصًّا قانونيًّا لدى الكنيسة الإثيوبية - بالزوال النهائي للرومان (١). وبدءًا من حكم الإمبراطور هادريان فصاعدًا (حكم ١١٧ -١٣٨)، عندما تم قمع ثورة بار كوخبا Bar Kokhba (۱۳۲–۱۳۲) بوحشية، تمت الإشارة إلى الإمبراطورية الرومانية في النصوص الحاخامية بشكل روتيني باسم (إمبراطورية الشر)، وهي إشارة لا تتطلب توضيحًا أو تبريرًا (٢). إذن، لم يَعُد الأمر يتعلق ببساطة بأن حكامًا رومانيين بعينهم كانوا أشرارًا، أو بسبب خطايا محدّدة، ولكن أضحت الإمبراطورية الرومانية ذاتها هي العدو الكوني، الذي كان صعوده، وسلوكه الجائر، وزواله النهائي؛ جزءًا من تدبير إلهي سيؤدي في النهاية إلى مجيء العصر المسياني. وبالتالي، فإن شخصية المسيح الدجال التي تحدثت عنها نبوءات سيبيل وتم وسم نيرون بها ستصبح في نصوص لاحقة

Ezra 11:40 ff 4 (۱) التي تقول: «لقد عانت أمّتنا من هذه الأمور في ظل حكم أنطيوخوس الرابع، (Antiquities 11.7) التي تقول: «لقد عانت أمّتنا من هذه الأمور في ظل حكم أنطيوخوس الرابع، حسبما ورد في رؤية دانيال، وما كتبه منذ سنوات كثيرة قبل أن يتحقق. فقد كتب دانيال بنفس الطريقة عن الحكومة الرومانية، وأن بلادنا تتدمر على أيديهم». وبالمثل، نقرأ في نص معاصر تقريبًا، Baruch عن الحكومة الرومانية، وأن بلادنا تتدمر على أيديهم». وبالمثل، في أخر الزمان وسيتُحاكم ويُدان ويُقتل على يد المسيا.

de Lange 1978, 269 (٢). وعبارة: «إمبراطورية الشر» عبارة منتشرة بكثرة في المصادر الحاخامية في العصور القديمة المتأخرة. انظر: Himmelfarb 2017, 27 ff.



رومولوس/أرميلوس "Romulus" مما يدلّ على أن الإمبراطورية الرومانية كانت رمزًا للشر منذ نشأتها (۱). يرتبط تشويه صورة الرومان بوصفهم عدوًّا أزليًّا أيضًا بالطرح الحاخامي الذي ربط بين روما و(إدوم/عيسو) (۲)، والذي ترسخ أيضًا في العصور القديمة جرّاء حالة الانقسام بين الخير (يعقوب، اليهود) والشر (عيسو، الرومان). الأهم من ذلك، أن المرادفة بين روما وعيسو، كخصم إمبراطوري للشعب اليهودي، نعثر عليها في مصادر العصور القديمة المتأخّرة، مثل المجموعة المدراشية تكوين راباه Genesis Rabbah، وهو نصّ لطالما اعتبرت محتوياته ذات صلة بالقرآن (۱). وقد استمرت هذه الأفكار في الانتشار حتى الفترة السابقة على ظهور الإسلام: يفسّر سفر اللاويين راباه في الترن السادس في الانتشار حتى الفترة السابقة على سبيل المثال، الذي يرجع إلى القرن السادس

In Himmelfarb's words: "Rome, embodied in Armilos, is treated as the greatest (1) of the eschatological enemies." (Himmelfarb 2017, 28).

⁽٢) قد يكون هذا مؤيدًا بحقيقة أن أدوم يلعب دورًا نشطًا في الكتاب المقدس العبري في تدمير الهيكل الأول (عوبديا ١: ١١-١٤، مزامير ١٣٧: ٧)؛ ولهذا السبب يُدينهم الأنبياء (مثل إرميا. ٤٩: ٧-٢٢)، مثلما كان الرومان مسؤولين عن تدمير الهيكل الثاني. وعن المرادفة بين عيسو وروما، انظر: Sivertsev 2011, 9 ff

⁽٣) حول هذه العلاقة، انظر: ait Rabbab " Revue de

M. Morgenstern, "The Image of Edom in Midrash Bereshit Rabbah," Revue de l'histoire des religions, 2 (2016): 193–222. On Genesis Rabbah and the Qur'ān, see the indexes to Geiger, Judaism and Islam, H. Speyer's Die biblischen Erzählungen im Qoran, Hildesheim, 1931, and other such works, where Genesis Rabbah features prominently.



الميلادي- قائمةَ الحيوانات النجسة المذكورة في الإصحاح ١١: ٤-٨ من سفر اللاويين على أنها رموز للإمبراطوريات العالمية الأربع التي ستهيمن على إسرائيل (بحسب المخطط الإسكاتولوجي لسفر دانيال)، وتكون روما هي الإمبراطورية الرابعة المعادلة للخنزير (١). وفي فقرة أخرى (تشرح حلم يعقوب الوارد في سفر التكوين ١٢:٢٨)، يذكر الحاخاميون الممالك الأربع أنها: بابل، وميدية، واليونان، و «إدوم» (روما). ويقال لنا: إن كل إمبراطورية من هذه الإمراطوريات ستصل إلى مدى محدّد، غير أن روما ستواصل الصعود مما يسبب قلقًا ليعقوب؛ لذلك، طمأنه الربِّ الله بوعد منه أنه مهما بلغ من المجد، فإن أدوم سيسقط في نهاية المطاف (٢). وتتابع المصادر اليهودية الأبوكاليبسية في القرن السابع في هذا الاتجاه، حيث تفسّر (المجموعات الكبري) عبارة آية سفر إشعياء ١٠:٦١ «أَنَّهُ قَدْ أَلبَسَنِي ثِيَابَ الخَلاصِ» على أنها تشير إلى «الثياب التي باركها القدوس ولبسها منذ خلق العالم وحتى تحريره من شر أدوم (=الرومان)»(٣). كما يصف سفر زروبابل أيضًا، في القرن السابع الميلادي، روما بأنها آخر الإمبراطوريات، حيث يقتل المسيح (أرميلوس) بالنفث في

Leviticus Rabbah 13.5. (1)

See N. Roth, Jews, Visigoths and Muslims in Medieval Spain: Cooperation and (Y)

Conflict, Leiden, 1994, 207.

Pesiqta Rabbati (ed. M. Ish-Shalom), ch. 37, 163. (*)



وجهه (۱). وقد استمر وجود تقاليد مشابهة لهذه التقاليد في القرون الإسلامية الأولى، وغالبًا ما كانت ترجّع صدى سفر دانيال ۲۳:۸ في وصف الشرير بأنه «كالح المُحيّا» (az panīm)(۲).

ثمّة نقطتان على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية بالنسبة إلينا بشأن هذه المصادر؛ أولاً: يوجد خيط أبوكاليبسي ناظم يسري عبر هذه المواد المعادية لروما، ولا يمكن اختزال الأمر ببساطة في أن الإمبراطورية الرومانية أساءت معاملة اليهود أكثر من غيرها من الحكام الآخرين، أو أن اليهود كرهوا الرومان أكثر من غيرهم، بل إن الإمبراطورية الرومانية ستلعب دورًا لا غنى عنه في التمهيد لأحداث آخر الزمان. ومن ثم، تفسّر (المجموعات الكبرى) عبارة «فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ» (إشعياء ٢١:١١)، بأنها تعني ابتهاج الشعب اليهودي عند سقوط الرومان الأشرار (rōmī ha-resha'ah).

⁽۱) (۱) (۱) Himmelfarb 2017, 154 ff. Sefer Zerubbabel (Himmelfarb 2017, 14) (۱) . يكرّر سفر زروبابل تقاليد التلمود (Sanhedrin 98a) التي تنصّ على أن المسيح قابع في روما ينتظر تحقق الظروف المناسبة لظهوره. كما يتحدث ترجوم يوناثان Jonathan لسفر إشعياء ٤:١١ عن قتل المسيح لأرميلوس، لا من خلال النفث في وجهه، بل «بكلمات من فمه».

E. g. Reeves 2005, 85 (The Secrets of R. Šim'on b. Yoḥai), 155–156 (Pirqe (Y) Mašiah).

Pesiqta Rabbati ch. 37, 162. (*)



للشعب اليهودي بهزيمة الرومان، هي فكرة نعثر عليها في مواد يهودية أخرى من القرن السابع الميلادي (١).

ثانيًا: تثبت المصادر السابقة -بدءًا من نبوءات سيبيل ومرورًا بنصوص عصر الهيكل الثاني والمواد المدراشية الحاخامية والمواد الأبوكاليبسية - أن الأفكار والنبوءات اليهودية المعادية للرومان انتشرت في عصور وأقاليم وأساليب مختلفة من الفكر اليهودي عشية ظهور الإسلام، دونما الإشارة إلى الإمبراطورية الفارسية، أو إلى أيّ طرف إمبراطوري آخر في أحداث آخر الزمان. وكما رأينا في تأطيرنا لتفسير آيات سورة الروم، هناك مصادر يهودية مهمة -من سفر دانيال إلى التلمود - تصوّر أحداث آخر الزمان بما في ذلك التنافس بين روما وبلاد فارس. ولكن هناك أيضًا مواد وفيرة تصف السيناريو الأخروي الذي يتحدّث عن التقلبات التي تطال الإمبراطورية الرومانية، وسيطرة الرب على مقاليد الأمور، وأحداث نهاية الزمان، وابتهاج المؤمنين (اليهود)، مع استبعاد غيرهم، تمامًا مثلما تفعل آيات سورة الروم (٢-٥) ذاتها.

The Sefer Zerubbabel (Himmelfarb 2017, 155) describes the End of Times scenario, (1) with the Messiah defeating Armilos, the 10 kings with him, and Gog and Magog: "After all this has come to pass, Menahem b. Ammiel will come... [and] there will be great joy for Israel." The passage then ends (ibid., 156) by quoting Zechariah 9:9 "Rejoice greatly, daughter of Zion!" (Emphasis mine.) Moreover, the penultimate lines of the 7th century piyyut by ha-Qallir, Ha'et Lig'or, quotes Isaiah 51:3, "Joy and gladness shall be found therein" (in E. Fleischer, "Solving the Qiliri Riddle", Tarbiz 54iii (1985): 383–427 at 427 l. 8). It is interesting that ha-Qallir (ibid., 426, l. 265) refers to God as hay veqayyām (cf. Daniel 6:27 and Q 2:255).



مراجعة آيات سورة الروم (٢-٥):

كيف يمكن للمواد المذكورة آنفًا أن تطوّر فهمنا لآيات سورة الروم (٢-٥)؟ كما أوضحت في مقدمة هذه الورقة، في رأيي، يتوجّب علينا في هذه الحالة أن نفصل بين التقليد الإسلامي التفسيري للآيات محلّ البحث، وبين الآيات القرآنية ذاتها. في تكوينيهما الحالي، ينتمي كلٌّ من التقليد التفسيري والآيات القرآنية إلى أقاليم وفترات مختلفة من تاريخ الشرق الأدنى، وبالتالي كان من المؤكد تقريبًا أنهما استفادًا من أفكار ومواد مختلفة.

يوجد الكثير من القواسم المشتركة بين التقاليد التفسيرية (في معظمها) المتعلّقة بالآيات، والتي تفترض مسبقًا أن الرومان انتصروا أو خسروا ضدّ الفرس، والنقاشات التلمودية المختلفة التي رأت أنّ هاتين الإمبراطوريتين هما الإمبراطوريتان الوحيدتان اللتان ستستمرّان حتى آخر الزمان؛ ومن ثم، انغمست في النبوءات التي تتوقّع أيّ إمبراطورية سوف تهزم الأخرى في النهاية. فإذا كان لروما أن تنتصر (على الرغم من أنها دمرت الهيكل)، فإن هذا سيحدث فقط بإرادة الله. بالإضافة إلى ذلك، تذكر مواد سفر دانيال ٧-١٢ مرارًا أن الفرس سيهيمنون مؤقتًا على حالة التنافس مع الإمبراطورية الغربية، وتحدّد فترة تزيد قليلًا عن ثلاث سنوات حيث سيعاني فيها المؤمنون، وتعدهم -في ذروة الحدث- أنّ من يتحملون الصعاب سيفرحون في النهاية. يرجع تاريخ كلّ



من المواد التلمودية ومواد سفر دانيال الإسكاتولوجية إلى قرون قبل ظهور الإسلام، وكان محتواهما شائعًا ومؤثرًا طوال العصور القديمة المتأخرة.

ثمة نقطة أخيرة يجب أخذها في الحسبان هنا، وهي أنه على الرغم من أن تيسي وشوميكر يجاد لان بشكل مقنع بأن آيات سورة الروم تنطوي على بُعد إسكاتولوجي (وليس مجرد تناول لـ"أحداث جارية")، وعلى الرغم من أن النقاشات التلمودية حول التنافس الروماني الفارسي مرتبطة أيضًا بأحداث آخر الزمان، إلا أنه يجب التأكيد على أنّ المفسرين المسلمين لم يقرؤوا الآيات على هذا النحو، بل رأوا فيها -بدلًا من ذلك- إخبارًا دقيقًا (وبالتالي مُعجِزًا) عن أحداث تقع في الشرق الأدنى في القرن السابع.

وبالعودة إلى الآيات القرآنية ذاتها، بالتركيز على دور الإمبراطورية الرومانية في الفكر اليهومسيحي في العصور القديمة والقديمة المتأخّرة، وباستثناء الفرس، رأينا أنه منذ القرن الثاني قبل الميلاد فصاعدًا، احتقر يهود الإسكندرية الرومان، وصنفوا نبوءات حول سقوط الإمبراطورية، وربطوا ذلك بأحداث آخر الزمان. وما يستحقّ التأكيد عليه هنا هو أنه في أحد نصوص نبوءات سيبيل، لم يكن الحاكم الأسطوري الذي سيقضي على الحكم الروماني (فارسيًّا) بل كان حاكمًا مصريًّا [بطلميًّا]، وفي نبوءة أخرى من نبوءات سيبيل، كان مخلّصًا إلهيًّا مُرسَلًا من السماء وليس شخصية أرضية على الإطلاق. كان مخلّصًا إلهيًّا مُرسَلًا من السماء وليس شخصية أرضية على الروم انتصار أو بعبارة أخرى، ليس من المقطوع به أنه عندما تذكر آيات سورة الروم انتصار أو



هزيمة (الروم) فإنها تعني أن خصمهم الأرضي هم الفرس. تفترض بعض مصادر العصور القديمة المتأخرة التي تتحدّث عن دور (أدوار) روما الإسكاتولوجي في آخر الزمان، أنها ستنتصر قبل أن تُهزم. ومهما يكن الموقف، فبسبب دورهم في تدمير القدس والهيكل، كان يُنظر إلى الرومان بوصفهم عدوًّا ذا بُعد كوني اكثر أهمية بكثير من أن يكون مجرد منافس تقليدي. كان الرومان لا موسوي يمثلون إدوم أو أبناء عيسو، وبالتالي كانوا خصمًا قديمًا قبل موسوي للإسرائيليين أو اليهود، وطالما أنهم دمروا الهيكل، كان لليهود حساب مفتوح لتصفيته معهم. وهكذا، يقبع المسيح في روما (أو ضواحيها)، وهزيمة روما شرط مسبق لظهوره. تنعكس هذه الأفكار في التلمود، ومدراش العصور القديمة المتأخرة، ومصادر أخرى على جانبي الفرات، ومن عصور ما قبل المسيحية وحتى ظهور الإسلام (وما بعده).

لا يمكننا بيان كيفية ارتباط هذه المواد بآيات سورة الروم إلا بوضع اعتبارين في أذهاننا، كما هو مذكور في بداية هذه الورقة؛ أولا: لسنا على يقين بشأن نطق الأفعال الحاسمة في الآيات، وهي معضلة لها تأثير حاسم على فهمنا للآيات. علاوة على ذلك، فإن خيارات المبني للمفعول/ المبني للمعلوم، أو المبني للمعلوم/ المبني للمعلوم/ النبي تبنّاها المفسرون المسلمون قديمًا، وتيسي وشوميكر حديثًا، وربما نُضيف اقتراح كروب Kropp الأخير بأن الفعل الأول يُقرأ بصيغة المبني للمفعول (غُلِبَت) ولكنه أسلوب إنشائي يفيد التمني،



أي: (ليُهزم الروم!)، جميعها قراءات تتفق مع المنظور اليهودي للإمبراطورية الرومانية بشكل خاص (۱). ومن المستحيل تسييق نص يكون معناه الحرفي الأساسي غامضًا ولا يمكن القطع به. ثانيًا: لسنا متأكدين ما إذا كان القرآن ينقل في هذه الآيات فكرة يهومسيحية أم أنه يجادل ضدّها، وهذه المعضلة أيضًا لها تأثير حاسم على فهمنا للآيات. وبما أننا لا يمكننا حلّ أيٍّ من هاتين المعضلتين بأيّ درجة من الثقة، ناهيك عن اليقين، يجب علينا مقاومة الرغبة في مد أيّ خطوط ثابتة بين أيّ مصدر أو مجموعة من المصادر في العصور القديمة المتأخرة وصولًا إلى القرآن. بدلًا من ذلك، يمكننا جمع الأدلة من العصور القديمة والعصور القديمة والمسيحين، بما يسمح لنا برسم صورة عامة عن الخلفية الأيديولوجية لآيات سورة الروم.

M. Kropp, "Commentary on Q 30:2-6", in M. Azaiez, G. S. Reynolds, T. (1) Tesei, and H. Zafer, eds., The Qur'an Seminar Commentary: A Collaborative lab. المعنوب المعن



بناء على ذلك، ومن خلال الجمع بين المواد المستقصاة أعلاه لتوضيح وجهة نظر المفسرين حول هذه الآيات، وتوضيح الآيات ذاتها، أود أن أقترح بعض الخيارات التفسيرية لعبارتين في الآية الرابعة من سورة الروم؛ ١) عبارة: (فِي بِضْع سِنِينَ). و٢) فكرة: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ).

(یے بضع سنین):

ترد عبارة: (بِضْعِ سِنِينَ)، أيضًا في الآية ٤٢ من سورة يوسف، حيث تشير إلى أن الشخص الذي نجا من السجن نسي يوسف، وظلّ يوسف في السجن بضع سنين. وفي الرواية الكتابية للقصة (سفر التكوين ٤١:١)، تُحَدَّد هذه المدة ذاتها بمقدار عامين. وعلى افتراض أن القرآن لا يستدرك على المدة المحدّدة في الكتاب المقدّس بالإشارة إلى فترة زمنية أخرى (لعدم وجود جدل لاهوي واضح يضطلع بذلك) فربما نستنج بالتالي أن عبارة سورة الروم تشير إلى فترة العامين. وبالرغم من ذلك، فسّر المسلمون الأوائل (من بينهم زيد بن علي، حوالي ٤٧٤م) العبارة على أنها تعني إمّا (ثلاث إلى خمس سنوات) أو (ثلاث إلى تسع سنوات). وربما تفسّر المصادر التي نوقشت أعلاه الفرق بينهما.

El-Cheikh 1998, 358 n. 11. (1)

لقد رأينا سابقًا ما ذكره التلمود (Sanhedrin 98b) من نبوءة هيمنة روما على العالم لمدة (٩ أشهر)، استنادًا إلى نبوءة الآية ٣ من الإصحاح الخامس في سفر ميخا، التي يرد فيها ذكر مدة حمل المرأة. إن استنتاج المدى الزمني لانتصار روما المستقبلي (المؤقت) على أساس آية من الكتاب المقدّس لَـهُوَ حيلة تأويلية مشروعة، ولكن -ربما تحت تأثير الأفكار الإسكاتولوجية لسفر دانيال- جرى تحديث هذه المدة لتصبح ثلاث سنوات أو أكثر. وبحسب تقدیرات های غاؤون Hai Gaon (ت: ۱۰۳۸): «ستحکم روما (حرفیًا: "أدوم") إسرائيل لمدة لا تقلّ عن تسعة أشهر ولا تزيد عن ثلاث سنوات»(١). ويرتبط عدد الأيام المذكور في إصحاحات دانيال ٨-١٢ (١١٥٠ يومًا، ١٢٩٠ يومًا، ١٣٣٥ يومًا) بمعاناة مؤقتة يأتي من بعدها الخلاص، وكلَّها تزيد قليلًا عن الثلاث سنوات. وبالمثل، يذكر سفر صعود إشعياء (١٢:٤) عدد ثلاث سنوات وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يومًا لطول مدة عهد بليعال. كما تصف إصحاحات Pirqe Mashi'aḥ أحداث آخر الزمان على النحو الآتي:

«قبل أن تسقط أدوم، سيخربون عشرة أماكن... وسيظهر ملك "حادّ الوجه" ويصدر أوامر قاسية في جميع أنحاء مملكته، وسيبرز ملك عظيم للقتال ضد الإسكندرية، وتعمّ اضطرابات عظيمة أنحاء العالم، سيحكم لمدة ثلاث

Reeves 2005, 134, quoting from Hai Gaon's Responsum on Redemption. (1)



سنوات ونصف ثم يثور، وسوف يسقط حاكم أدوم: ستقع عشر معارك، ثم تنتصر إسرائيل على جميع الأمم، "وأجعلُ نقمتي في أدوم" (حزقيال ٢٥: 1٤)»(١).

والآن، إذا ما أخذنا في الاعتبار هذه المجموعة المذكورة من المصادر، نصبح في وضع يسمح لنا بتسييق عبارة: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} وفهم ميل الدرس التفسيري إلى تفضيل فترة تزيد عن ثلاث سنوات (بدلًا من فترة السنتين المذكورة في الآية ٤٢ من سورة يوسف)، حتى لو لم نتمكن من إقامة صلة قاطعة بين أيٍّ من هذه المصادر وبين الآية الرابعة من سورة الروم أو تفسيراتها.

﴿ وَيَوْمَئِدْ يَفْرَحُ الْمُؤْمِثُونَ ﴾ :

كما رأينا من قبل، يميل المفسرون المسلمون إلى تفسير هذه العبارة على أنها إشارة إلى ابتهاج المسلمين في مكة بانتصار نظرائهم البيزنطيين، المؤمنين بالله، على الوثنيين الزرادشتيين في سوريا الكبرى. يشكك كلّ من تيسي وشوميكر -كغيرهم من الأجيال السابقة من الباحثين- في أن هذا هو مقصود القرآن هنا بالفعل. بدلًا من ذلك، يفصل تيسي بين الأمرين: انتصار البيزنطيين،

Reeves 2005, 155–156. On this source, see now H. Spurling, "The Biblical (1) Symbol of Edom in Jewish Eschatological and Apocalyptic Imagery", in J-P. Monferrer-Sala and A. Urban, eds., Sacred Text: Explorations in Lexicography, Frankfurt, 2009, 271–299.



وفرح المؤمنين، ويرى أن هذا الأخير يشير إلى فرح المؤمنين في آخر الزمان. ومرة أخرى، توفّر لنا المصادر المستقصاة أعلاه خلفية مناسبة عن الموضوع؟ تَخْلُص إصحاحات سفر دانيال ٧-١٢ (١٢: ١٢ - ١٣) إلى وعدٍ مفاده: بعد فترة تصل إلى ٣-٤ سنوات، مَنْ يثابر وينتظر سيكون (فَرِحًا). وفي الأسطر الأخيرة من الشعر الطقسي للحاخام أليعازر بن كالير الذي يرجع إلى القرن السابع، وفي سفر زربابل أيضًا كما رأينا، ينتهي وصفهم لأحداث آخر الزمان بالإشارة إلى آيات الكتاب المقدّس التي تتحدّث عن فرح الصالحين. ولعلّ بالأهم من ذلك كلّه هو أن (المجموعات الكبرى) التي تُنسب إلى أعمال القرن السادس أو السابع تشرح عبارة سفر إشعياء (١٣:١١) «فَرَحًا أَفْرَحُ» بالقول: إن هذا هو فرح الشعب اليهودي بسبب سقوط الإمبراطورية الرومانية الشريرة.



يهودي أم مسيحي؟

مِمَّا تقدُّم، يجب أن يكون واضحًا أن غالبية المصادر التي وردت في هذه الورقة كانت مصادر (يهودية)، تمامًا مثلما كان نصيب الأسد من المواد التي ناقشها كلُّ من تيسى وشوميكر من بين المصادر (المسيحية). يُعَدّ هذا التصنيف بالطبع إشكاليًّا للغاية، خاصّة في سياق مصادر العصور القديمة المتأخرة؛ لعدد من الأسباب: ففي كثير من الأحيان تم تبنِّي المصادر (التوراتية) التي كتبها اليهود في الأصل لغيرهم من اليهود، ونشرها على نطاق أوسع من قِبل مسيحيين في القرون اللاحقة. وأكبر الظن بالنسبة إليَّ أن إجراء أيّ مسح كمّي لإحصاء الاستشهاد بإصحاحات سفر دانيال ٧-١٢ بواسطة المؤلفين اليهود والمسيحيين على التوالي سيكشف أن المسيحيين اهتموا برؤى سفر دانيال أكثر من نظرائهم اليهود. أضف إلى ذلك وجود مصادر مسيحية يهودية هجينة، مثل نصوص نبوءات سيبيل. وبعكس ذلك، عندما يتعلق الأمر بالمواد التي تتناول أحداث آخر الزمان في العصور القديمة المتأخرة، يبدو أن المؤلفين اليهود كانوا مسيحيين للغاية (١). وعلى أية حال، فإن الجهد الهائل المطلوب لفصل المواد (اليهودية) عن المواد (المسيحية) في هذا المصدر وغيره من المصادر لن يسفر عن نتائج ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى موضوع نقاشنا هنا.

This is a major argument of both Sivertsev 2011 and Himmelfarb 2017. (1)



ومع ذلك، لا تزال هناك أسباب تشير إلى أن القرآن والمجتمع الإسلامي الناشئ قد انتهجوا مقاربة (يهودية) تجاه روما والإسكاتولوجيا بشكل عامً؛ أولًا: ثمّة مجموعة مختارة من الأحاديث المبكرة التي تعكس منظورًا مناهضًا للرومان (١).

في أحد هذه الأحاديث، يُنْقَل إلينا أن الرسول قال: «لن يخرج الدجال حتى يُهزم الروم». وهو حديث شديد التناظر مع نبوءة الحاخام التلمودي حاما بن حنينا R. Ḥama b. Ḥanina التي تقول: «لن يأتي المسيا حتى تُهزم المملكة

(١) انظر حول هذا الموضوع:

O. Livne-Kafri, "Some Observations on the Migration of Apocalyptic Features in Muslim Tradition" Acta Orientalia 60iv (2007): 466–477 at 468–469 (section on "al-qustantiniyya al-zāniya and the Great Whore Image)" والذي يعالج الأحاديث المبكرة التي تتعاطى بشكل سلبي مع القسطنطينيين/ البيزنطيين. ويبدو أن هذه المواد تعتمد على ما ورد في سفر الرؤيا (١٤) حيث تتحول (مدينة بابل) الزانية إلى مدينة روما ثم يعاد تصويرها على أنها القسطنطينية. يقول ليفني كافري كافري Livne-Kafri: إنّ هذا النوع من الأحاديث (بربما يعبّر عن ميول يهودية) أو مواقف مسيحية مبكرة تجاه روما (قبل تحول قسطنطين إلى المسيحية). النقطة التي يجدر بنا إبرازها هنا هي أنه على الرغم من أن الحديث لم يَعُد يعكس الأفكار المسيحية السائدة حول (روما)، إلا أنه وجد طريقه إلى الفكر الإسلامي بعد قرون. وقد بيّن مناحم المسيحية السائدة حول (روما)، إلا أنه وجد طريقه الى الفكر الإسلامي بعد قرون. وقد بيّن مناحم كيستر Jerusalem' (Traditions Praising ") M. Kister كيستر 185–186



ترحمات

الحقيرة (أي: روما) على يد الشعب اليهودي» (Sanhedrin 98a) (1). وفي أحاديث أخرى، تُعقد مقارنة بين الرومان/ البيزنطيين و (أبناء عيسو) أو (أبناء أدوم)، وهي صدًى للسوابق اليهودية في هذا الشأن (٢).

علاوة على ذلك، ثمّة طريقة واحدة جلية يمكن بواسطتها التمييز بوضوح بين المنظورين (اليهودي والمسيحي) حول حلول آخر الزمان، وتحديدًا مواقف كلّ منهما الخاصّة تجاه الأرض المقدّسة. بالنسبة إلى اليهود، منذ تدمير الهيكل الثاني في عام ٧٠م، كان هناك أمل وتنبؤ مستمر بإعادة بناء القدس وهيكلها في نهاية المطاف، وهو حدث يرتبط بشكل عام بالعصر المسياني. وعلى النقيض من ذلك، قام يسوع والمسيحية المبكرة بتحييد التوقعات المسيانية اليهودية حول إعادة بناء الهيكل من خلال روحنته. فبينما توقع اليهود وجودًا ماديًا لملكوت الله على الأرض وإعادة بناء الهيكل المادي في القدس،

⁽۱) قارن أيضًا ما ورد عن الحاخام يوس بن قسما Yose b. Qisma عندما سأله تلامذته عن موعد ظهور المسيح، فأجاب: عندما تسقط بوابة روما مرتين ويُعاد بناؤها في كلّ مرة، فإنها سوف تسقط مرة أخرى ولكن لن يُعاد بناؤها حتى يظهر المسيح (Sanhedrin 98b). ومن الواضح أن الحديث يشير إلى أن المسيح الدجال –وليس المسيح – هو الذي سيظهر عندما يُهزم الرومان/ البيزنطيون. ويجب أن نتذكر أن ظهور الدجال في العديد من الروايات هو شرط أساسي لمجيء المسيح.

In O. :حول الاستخدام الإسلامي لـ(أبناء عيسو) أو (أبناء أدوم) كإشارة إلى البيزنطيين، انظر: Livne-Kafri, "Some Notes on the Muslim Apocalyptic Tradition", Quaderni di Studi Arabi 17 (1999): 71–94 at 93–94 esp. n. 140



نقل المسيحيون الملكوت إلى السماء، وصار الهيكل مجازًا، وتمّ تجاهُل القدس وجبل الهيكل من قِبل الحكام المسيحيين على نحو واعٍ؛ لأنهم كانوا يعلمون ما يمثله هذا التجاهل على وجه التحديد بالنسبة إلى اليهود. وبحسب المصادر المعاصرة تقريبًا، عندما سعت الجيوش الإسلامية الأولى لاستعادة الأرض المقدّسة لصالح أحفاد إبراهيم، فإنهم كانوا يحاكون سيناريو آخر الزمان كما تصوَّره اليهود، وهي نقطة مسلَّم بصحتها لدى شوميكر^(۱)، ولن يكون مفاجئًا أن يتبنَّى القرآنُ أيضًا في آيات سورة الروم (٢-٥) المنظورَ اليهودي الأبوكاليسي لمصير (روما). ففي إحدى الفقرات المبتذلة، ولكنها لا تزال مهمّة فيما يتعلق بظهور الإسلام، يذكر سيبيوس (الزائف) أن اليهود البيزنطيين فرُّوا باتجاه شبه الجزيرة العربية حيث:

«دعا اليهودُ العربَ إلى مساعدتهم وأَطْلَعوهم على العلاقة التي تجمع بينهما من خلال صُحُف العهد القديم. وعلى الرغم من أنّ العرب كانوا مقتنعين بعلاقتهم الوثيقة معهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من الإجماع على ذلك فيما بينهم؛ لأنهم انقسموا بعضهم على بعض بسبب الدِّين. وفي إبان تلك الفترة، برز رجل منهم من أحفاد إسماعيل اسمه محمد وكان تاجرًا، وكشف لهم طريق الحقّ بأمر من الله كما هو مُفترَض، وعلّمهم [محمد] عبادة إله إبراهيم، خاصة أنه كان على

Shoemaker 2014, 557–558. (1)

دراية ومعرفة بالتاريخ الموسوي؛ ولأن الأمر قد جاء من الله، أمرهم جميعًا بالاجتماع معًا والتوحد في الإيمان. ...قال: «لقد وعد الله إبراهيم وابنه من بعده هذه الأرض إلى الأبد، وقد تحقّق وعده في تلك الفترة عندما أحب الله [إسرائيل]. ولكن الآن، أنتم أبناء إبراهيم، والله سوف يفي بوعده الذي قطعه لإبراهيم وابنه لكم؛ فلتحبوا إلى إبراهيم، واذهبوا لتأخذوا الأرض التي أعطاها الله لأبيكم إبراهيم. لا يمكن لأحد أن يصبر عليكم في الحرب؛ لأن الله معكم».

يخبرنا هذا النصّ أن اليهود الذين فرّوا مما قد يصفونه بـ(الإمبراطورية الرومانية الشريرة) كان لهم تأثير تأسيسي على بعض العقائد المبكّرة للإسلام في بداياته، وأن الغزو [المادي] للأرض المقدّسة من أجل تحقيق وعد التوراة كان مسألة محورية في بواكير الإسلام، وأنّ محمدًا نظر إلى جماعته الجديدة بوصفها إسرائيل الجديدة، تمامًا كما حدث مع المسيحيين قبل قرون خلت (۱). وهكذا، إذا ما كان بإمكاننا الحكم على مدى اتباع أحد جوانب الفكر الأبوكاليسي الإسلامي أيًّا من المقاربتين: (المسيحية أو اليهودية)، فإن محمدًا كان يتبع بوضوح مقاربة يهودية (۱). وككتاب مقدس لإسرائيل الجديدة، ربما

⁽١) لمراجعة المصادر الإسلامية المبكرة حول مسألة الأمة التي تنظر إلى نفسها كوَرثة بني إسرائيل، انظر: -Livne لمراجعة المصادر الإسلامية المبكرة حول مسألة الأمة التي تنظر إلى نفسها كوَرثة بني إسرائيل، انظر: -Kafri 1999, 85 n. 82.

⁽٢) خلافًا لذلك، يُعيد تيسي بناء السياق التاريخي لآيات سورة الروم من خلال القول: إن المسيحيين العرب الذين هجروا بيزنطة وانضموا إلى الجماعة المسلمة الأولى، جلبوا معهم نسخة غير دعائية من إسكاتولوجيا الإمبراطورية البيزنطية، والتي أعيد صياغتها باللغة العربية بشكل ضمني يفيد في نهاية



ترحمات

يكون القرآن قد نقل الأفكار الأبوكاليبسية اليهودية حول الفرح بهزيمة روما الإسكاتولوجية (وهي أفكار قد تكون مدينة للنصوص المسيحية)، ولكنه أشار بدلًا من ذلك إلى فرح جماعة (المؤمنين) الجديدة (آية ٤ من سورة الروم)(١).

المطاف بأن (المؤمنين) سوف يفرحون بانتصار البيزنطيين. بعبارة أخرى، حتى إذا ما تجاهلنا هذا العناء المتكبد لإعادة بناء السياق التاريخي على هذا النحو، والحاجة إلى التخلي عن الإطار التقليدي لظهور القرآن، فإن محاولة القرآن التخلص من البصمة البيزنطية في هذه الآيات أسفرت عن قصور واضح. وأرى أن المواد المقدمة في هذه الورقة تسمح لنا بإعادة تصور سياق تاريخي أكثر دقة.

(۱) من غير المرجح كثيرًا أنْ تشير كلمة {المؤمنون} في الآية الرابعة من سورة الروم إلى المسيحيين. وهكذا، يقول غيغر (7-35.4 Judaism and Islam, 152-153, regarding Q المؤمنين) كإشارة إلى المسيحيين لا نجد لها نظيرًا في أيّ موضع آخر من القرآن». وعلى الرغم من أن الآية ٨٦ من سورة المائدة تخبرنا أن اليهود والذين أشركوا هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وأن المسيحيين هم الأقرب مودّة للذين آمنوا، فإن المعنى الواضح هو أن كلمة (المؤمنين) هنا لا تشير إلى اليهود ولا إلى المسيحيين. وللحصول على مقاربة تأويلية بارعة لـ(المؤمنين) في القرن الأول للإسلام، انظر:

F. Donner, From Believers to Muslims: Confessional Self-Identity in the Early Islamic Community", al-Abḥāth 50–51 (2002–3): 9–53.



خاتمة:

في هذه الورقة، قاربتُ آيات سورة الروم (٢-٥) كنصّين منفصلين يتطلبان تسييقًا كاملًا؛ النص الأول: هو الآيات القرآنية ذاتها، الممثلة للأفكار التي تركز على دور (روما) في أحداث آخر الزمان في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع. والنص الثاني: هو فهْمُ المفسرين لهذه الآيات، والذي يمثّل الأفكار السائدة في الهلال الخصيب من القرن الثامن إلى التاسع، والذي يركز على التنافس بين روما وبلاد فارس. وقد جودل بأنّ فهمنا لكلا (النصّين) قد يتطوّر بشكل كبيرٍ عند الاستعانة بالمصادر المقدّمة هنا.

كما تم التأكيد على أن تفسيراتنا لآيات سورة الروم (٢-٥) هي بالضرورة مبدئية وليست قاطعة؛ إِذْ إننا لا نعرف كيف نقرأ بالضبط الأفعال الحاسمة في الآيات، وليس بإمكاننا معرفة ما إذا كانت الآيات تعكس أفكارًا يهودية مسيحية أم ترفضها، هل تتبناها إجمالًا أم تعدّلها بوعي منها؟ كل ما اعتزمتُ القيام به هنا هو عرض مجموعة من المواد والتفسيرات اليهودية والمسيحية التي تساعدنا جزئيًّا أو كليًّا -من وجهة نظري - على فهم الخلفية الأدبية والدينية الثرية لكلّ من الآيات القرآنية والتفسير الإسلامي لها. إنّ الفكرة القائلة بأن العناصر التي تشكّل آيات سورة الروم (٢-٥) ترجع ابتداءً إلى المواد الأبوكاليبسية اليهودية والمسيحية، وأنّ مثل هذه النصوص توفر تسييقًا كافيًا لهذه الآيات القرآنية، لا يمكن ببساطة الدفاع عنها في ضوء المواد المتنوعة التي تم استقصاؤها في هذه الورقة.